كائن وحيدٌ يقبعُ في لوحة

وكتابات أخرى

مؤمن سمير

عضو اتحاد الكتاب

كتاب الإتحاد
فرع
بنى سويف . الفيوم

اتحاد الكتاب

مارس ٢٠١٦

مؤمن سميـر

—

كائنٌ وحيد يقبعُ في لوحة

وكتابات أخرى

صدرَ عن مطبوعات اتحاد كُتَّاب مصر فرع بني سويف
والفيوم 2016

اسم الكتاب : " كائنٌ وحيد يقبعُ في لوحة "

وكتابات أخرى .

المؤلف : مؤمن سمير

الطبعة : الأولـــى

ملامح

" الأبنودي وتناقضات الشخصية الكبيرة "

بقى الأبنودي في العمق من الوعي وكذلك في دائرة الضوء لعقود طويلة ويرجع ذلك لأسباب عديدة من أهمها وأبقاها أنه فنان خاص وحقيقي ومتجاوز حيث لو عددنا المجددين في مسيرة قصيدة العامية المصرية بعد البدايات والتأسيس التي تنتهي وترق عند العم بيرم التونسي ثم البداية الحقيقية على يد فؤاد حداد وصلاح جاهين ثم مرحلة التعضيد عند عبد الرحمن الأبنودي وسيد حجاب وأحمد فؤاد نجم.. ورغم الفوارق الفنية والمواقفية بينهم فإنك لن تستطيع تجاهل واحد منهم مهما اختلفت مع توجهاته أو تقلباته أو بالأحرى مع علو وانخفاض ترمومتر علاقته مع السلطة أو قرار السلطة باعتبار الشاعر عروة في قميصها أو عدواً ... الأبنودي شاعر متمكن وماكر يجمع بين البساطة والتعقيد في شعره وينحت شعراً من الطبيعة المصرية الشاسعة العمق والامتدادات واستطاع ان يبدع قصيدة تدخل القلوب و" تعمَّر الدماغ " في الآن نفسه ..

إن " جوابات حراجي القط " مثلاً عمل قار في الضمير بغض النظر عن أنه جزء من توهج المرحلة الناصرية وهكذا الفنان الحقيقي يسرق مما هو عابر أوراد خلوده واستمراره .. ومن يستطيع تجاهل " صمت الجرس " بتجريبيته الخلاقة أو " الموت على الأسفلت " الأنشودة الأكثر عذوبة في استشهاد ناجي العلي ما إلى ذلك من أعمال شعرية كبيرة .. حتى كتابه النثري" أيامي الحلوة " تكتشف وتسمع وأنت تقرأه شخصاً ليس بعيداً عن ملامحك وروحك أبداً .. إن من ينجحون في قراءة شرطهم التاريخي ويتعاملون معه بمعينهم العميق من الابداع وكثير من الذكاء أيضاً ليسوا كثر.. لكنهم يبقون ويشكلون وعينا ونظرتنا للدنيا .. وإضافة الأبنودي لفن الأغنية العربية إضافة مبهرة لا يمكن تجاهلها وحذفها من روحنا المجهدة حيث حول الأغنية إلى صور غنية بالدهشة وباكتشاف أبعاد أخرى وطبقات متعددة للحب والموت والفرحة والحياة وأدخل المفردات والعوالم الشعبية وعمقها العبقري لدائرة الانتباه والاكتشاف بحذق ومهارة وفنية عالية .. جمع

الرجل بين حب البسطاء وبين احترام قطاعات كثيرة من المثقفين وكذلك على سخط قطاعات أكثر منهم ربما لأنهم اندهشوا مما اعتبروه توليفة عجيبة لا يقدر عليها إلا جبار.. كيف تكون فناناً لا خلاف على دوره التجديدي وإضافاته وعلى ثقافته ، ويسارياً لا اختلاف على انتمائه للمهمشين وكيف تكون قريباً طول الوقت من السلطة ولا تستغني عنك أبداً رغم وضعك في السجن حتى ..!! كيف يدخلك رجال الأعمال إلى صالوناتهم ويدخلك المعدمين إلى قلوبهم في نفس اللحظة .. لم يستطع الجميع الاستغناء عنك لأنك تستحق وتقدر .. كتبتَ في أعياد ميلاد مبارك لكنك انتقدته بعنف في السنوات الأخيرة .. لفت النظر للسيرة الهلالية وأخرجتها للأعلام ولقطاعات كانت بعيدة عن بريقها رغم اتهام الباحثين لك بتهميش الطيب " جابر أبو حسين " .. الخ الخ من الشائعات والحقائق التي لاتُنسج إلا حول الكبار.. في النهاية سيبقى هذا الفنان الكبير صفحة مهمة في مشروع التجديد المصري في القصيدة العامية وفي الأغنية وصفحة براقة

لاقتراب المثقف الحاد والواضح من الحياة المعاشة وتحطيمه لأسطورة البرج العاجي ..

" وجوه إيمان مرسال : الأخت التي تكمن خلف التفاصيل "

كان الزمن بدايات تسعينات القرن الماضي وبداية مرحلتي الجامعية عندما سمعت اسمها للمرة الأولى مقترناً باسم ادوار الخراط ، والحقيقة أنني لم أحفل بها بقدر ما أشرت بعيني وقلبي لإدوار .. كنت ساعتها مبهوراً بألعابه اللغوية وثقافته الجبارة وتعدد مناحي عطاءاته من إبداع – لم أجرؤ أيامها على الاعتراف بأني لا أستوعبه جيداً وأَمَلُّ منه بسرعة لكني أُجِلُّ هذا الإبداع إكباراً و(مَنْظَرَةً) أيضاً !– ونقد أدبي ونقد تشكيلي وترجمة الخ الخ .. كتب ادوار عن ديوان إيمان الأول " اتصافات " الصادر عام ١٩٩٠ في جريدة الحياة اللندنية سنة١٩٩١ .. وهو الديوان الذي تستطيع أن تجد فيه الآخرين بسهولة ولا تجد إيمان إلا قليلاً ، لكنها سرعان ما تظهر بكامل أناقتها ووهجها وألقها الذي سيدوم طويلاً – في العام١٩٩٥ مع ديوان " ممر معتم يصلح لتعلم الرقص " الصادر عن دار " شرقيات "

التي ارتبطت بعد ذلك ومن قبل ذلك بقليل – بالنص الجديد .. كنت في المنتصف بين أسوار الجامعة العالية وبين الشمس الحارقة اللاهبة التي لا ترحم المكونة من الأسئلة الشاقة واهتزازات اليقين والبرد والعطش النفسي ، ولم تكن الجامعة تعني لي بالضبط إلا ثلاثة أشخاص مهمومين وقلقين على الدوام رغم أن الأمل يحدوهم في فهم العالم والتعاطي معه بوعي .. الروائي الراحل محمد ربيع والشاعر والقاص حاتم جعفر والثالث زائغ النظرات المرتعش الدائم الذي هو أنا .. مَدَانا وأُفُقنا له حدود ضيقة ومتسعة في آنٍ واحد : الكتب وشباب حزب التجمع الغاضبين من مهادنة الحزب وأكرم ألفي الشاب ضئيل الحجم الذي كان يقود الحركة الثورية في بني سويف حتى اعتقل في زنزانة واحدة مع الفنان عز الدين نجيب في اضطرابات قانون الملكية الزراعة ورسم له بورتريهاً رائعاً في مجلة روزاليوسف علقناه على باب الجامعة ولم يصمد إلا ١٧ دقيقة بالضبط قبل أن يمزقه حرس الجامعة .. ووائل توفيق الذي كان يحاول مع رفعت السعيد أن يحصل

لنا على دعم لاستمرار نشراتنا التي كنا نقوم بتصويرها وتوزيعها وكان ساعتها يرفض وهو يضحك .. وفي القلب من محاولاتنا المحمومة لالتهام كل ما تقع عليه أعيننا وتدبير الكتب الممنوعة والمصادرة والغالية بالاستعارة والتصوير – كنا ندرك ثلاثتنا أننا نريد أن نكتب وفقط .. ربيع يصل إلى قناعة بكتابة ساخرة تقلب كل ما هو رسمي ومحترم ومهذب .. وحاتم وأنا بعدما ملأنا (أجندات كاملة) بقصائد متأثرة بالسبعينين ، قررنا أن نضع كل هذا في (كرتونة) بعيدة وأن يكتب كلٌ منا قصائد بلا أي ماضي ولا قناعة مسبقة .. هكذا في الهيولي الفني .. يعني يَئِسنا من أنفسنا فقلنا نمسك بقلمٍ حر وأكثر خفة ونرى ماذا سيكتب بشرط وحيد هو أن نكتب أنفسنا وأجسادنا وحيواتنا نحن ، التي نحسها ونشمها ونلمسها .. وهكذا كتبنا قصائد مقشرة ، بسيطة ، بلا أي أردية ومعاطف وزخارف لغوية .. تشتبك مع تفاصيلنا الصغيرة التي من لحم ودم ، بلا أي تجريدات و ذهنيات و بهلوانيات شكلية أرهقتنا نحن قبل أي أحد .. ولكن

المفارقة أن شجاعتنا وثوريتنا خانتنا بعد عدة محاولات لعرضها على آخرين .. صرنا نخشى أو نخجل أحياناً .. لا مجازات رصينة براقة ولا لغة فخمة ولا كلمات متوهجة (يسندون النصوص) ولا إيقاع على الإطلاق .. (ذَكِّرْنِي بآخر مرة يا حاتم ؟ أظن قالوا إنها مجرد خواطر..) .. الأوغاد .. إلى أن هلَّت فوق الفَتيَيْنِ شمسان ، لمَّا تصادف أن قرأنا في إحدى المجلات عرضاً لديوانين صدرا عن دار شرقيات هما " ثمة موسيقى تتزل السلالم " لعلي منصور و " ممر معتم .." لإيمان مرسال .. كان الأمر بمثابة كوبٍ من النبيذ من على مائدةِ آلهةٍ لا تعرف الكرم .. حيث فوجئنا أن كتابتنا تشبه النماذج المطولة المعروضة في المجلة .. ولم نُكذِّب خبراً وانتظرنا أول شارات النهار ونزلنا القاهرة وتهنا كثيراً حتى عدنا بنسخة من كليهما التهمناهما ونحن نسير في الشوارع ونصطدم بالبشر والحوائط الوهمية .. وهكذا أحسسنا أن كتاباتنا اكتسبت مشروعية ما وسبباً حقيقياً للوجود بوجود أصدقاء وسِرْبٌ ما ، على وجه الدقة .. ورغم أن الاثنيْن

ينتميان إلى جيل الثمانينات السابق علينا – الحقيقة أن منصور أكبر في العمر كثيراً وبدأ في النشر مبكراً جداً – وأنهما نشرا قصائد تفعيلية كثيرة ، إلا أنهما صارا وردتين في عروة الكتابة الجديدة ، ليس فقط بالنسبة لنا وإنما بالنسبة للتسعينين جميعاً .. (بعد فترة من الكتابة تحررتُ من فكرة التقسيم الجيلي وصرت أتعامل مع كل شاعر على أنه مشروع في حد ذاته لا يمتلك ألقاً أو إخفاقاً بسبب كونه في حركة ما أو مرحلة عمرية ما أو في تيار أو اتجاه معين – رغم أهمية هذا في إدراك مداخل التجربة .. بل يرجع الأمر في الأساس له هو ، لشاعريته وديوانه الكبير الذي يحوي سمت اكتماله وضفاف شواطئه أو على العكس السِكَّةِ الضيقة لمقبرته .. وأصبح كل ما أحكيه وغيره ، وكل ما نسعى لمعرفته من نميمة فنية أو حتى نقداً رصيناً ، رتوشاً هامة جداً " حول " التجربة وليست هي التجربة .. تلك التي يتكفل بها النص والنص وحده وهذا هو اختباره الدائم والوجودي ..) وسأنحرف عامداً عن البهي علي منصور، الذي سار في دربه المميز و كتابة

قصائد تندهش من مفارقات الكون والتاريخ والنفوس وتبحث عن كل ماهو صافٍ وشفاف خلف السطوح إلى أن وصل في أعماله الأخيرة لغايته وهي مناوشة الروح التى يراها مظلومة ببقاءها مدفونةً خلف الجِلْد .. تجربته الروحية العميقة تلك ومقدماتها الظاهرة منذ البداية ، وضعته في موقع " الحكيم " والأخ الأكبر – رغم مرونة نصه وديناميكيته – بالنسبة لنا .. أما إيمان فاحتلت موقع الأخت ، الصاحبة التي كانت من سنوات تجلس معنا على نفس (التختة) والتي يمكن أن تجري وتسبقنا وظلها الصغير يسبق ظلنا ، فلا نغضب أبداً بل نضحك ونمد لها أيادينا خوفاً من أن يمسها العابر بهوائه الساخن بينما تراقب هي وتختزن بكل مكر..:

" **جيد**

أن أُعيدَ تأمُّل صور الطفولة

فقد أُزيحُ فكرتي المستقرة

عن أنني كنتُ مشروعاً جميلاً لشخصٍ آخر

أفسَدَتْهُ رهاناتي الناجحة "

تنتمي إيمان لفئة من البشر والمبدعين يتحلون بنفس سمات ورتوش " الأيقونة " أينما حلُّوا وفي أي مرحلة .. كل ديوان يصدر لها نتلقفه ببهجة تليق به .. " المشي أطول وقت ممكن " ١٩٩٧ ، " جغرافيا بديلة " ٢٠٠٦ ، " حتى أتخلى عن فكرة البيوت " ٢٠١٣ الذي قطَّرت فيه الشعر حتى غيَّر جلدهُ وظهر في أهاب السرد وهيئته وفي ريش الحكي ونسيمِهِ .. :

" **المرأةُ المكتئبة التي تتحرك في المشهد ليست فقط امرأة وليست فقط مكتئبة ، إنها تلك المغنية المعتزلة ، أنتم تعرفون قصتها ، المخبولة** "

لما حَصُلَت على الدكتوراة سَعِدْتُ فعلاً ولما أنجبَت ولداً كنت أقول لكل من أقابله من الأصدقاء (إيمان خَلِّفت ..) حتى عندما حدثت أزمة اتهامها بالتطبيع لم أهاجمها وتعاطفت معها رغم خرقها لثابتٍ برَّاق وحقيقي ..

نصوص إيمان هي جِلْد جيلنا ونظارته الشمسية ثم نظارته للقراءة .. الجيل المغترب الأبدي :

" (أنا وأصدقائي في عزلة) هو العنوان الذي فتحَ به الله عليّْ "

جيل سقوط اليقينيات والحكايات الكبرى وأزمته الحقيقية الكامنة في أن أحداً لم يحنو عليه تشاؤماً أكثر من أي شئ آخر، لأنه الابن المتولد عن الخراب الملون وأفاعيه ، الذي اضطر للغرور والضجيج والادعاء بأنه الأهم بعد الرواد ، وكونه لم يتحرر نهائياً كما ظن وادعى – بعدما انزاح المطلق واليقيني والثابت من على كاهله وإنما لم يلقَ إلا الفراغ والواقع بفجاجته .. الجيل الذي كان بارعاً في اختراع موضات من قبيل كتابة الجسد ونفي الأيدولوجيا وباترونات التفاصيل الخ الخ لأن المسكين كان يريد عن طريقها أن يحيا أطول ، فتلقف حظه الذي أتى به في لحظات التحول الدراماتيكية في العالم وهو خائفٌ وبردانٌ ومتفاءلٌ في نفس الوقت مما جعله مرتبكاً دائماً وحزيناً بدون تصنُّع ..:

" أنا التي تركتُ بلداً في مكانٍ ما لأتمشى في هذه الغابةِ أحمل جثةً لم ينتبه لغيابها السِربُ .."

قصائد إيمان التي تبحث عن رفة عينٍ بسيطة وحرة هي قصائدنا .. تمردها هو بيوت مرايانا المخدوشة .. أسئلتها الوجودية هي جرحنا ووحدتها هي سِرُّنا .. شجاعتها في البوحِ هي طموحنا .. حتى النكهة الأيدلوجية السارية في كتابتها ، تأتي وكأنها تعوض تجريدنا لهذا الجانب .. حكمتها الناقصة دوماً هي حكمة من فوجئ بشعيراته البيض وتعايش معها بسرعة بأن تخلى عن النظر في المرآة واستبدله بالتحديق في كفه .. النوستالجيا الفاضحة تحت تنورتها هي حنيننا المجهض كل يوم :

" **(ميت عدلان) قريتي العزيزة الجميلة ، وطني الذي يزورني كل ليلة في الكوابيس** .."

إيمان بنت الهامش والعابرة لجيليْن على الأقل – هي أكثر الناس اشمئزازاً من فكرة الهالة والبريق .. وتقول في حواراتها إنها لاتملك مشروعاً ولا تقصد ولا تريد .. ولكن الحقيقة أنها بسبب يقينها هذا كسرت الحواجز بين الشاعر والدور والصديق والصاحب ... نصوصها لا تطمح إلا

لصداقةٍ مع قارئٍ أو صاحبٍ أو إنسانٍ بعيدٍ يشبهها :

" **لماذا لا تأتي ؟**

أشكُّ في حزنكَ

أنت واقفٌ مازلتَ على قدميكَ

أنيقٌ بلا تحَفُّظ .."

ويبدو لا تزال تنجح في ذلك ..

" أحمد يماني : كائنٌ وحيدٌ يقبعُ في لوحة "

كان الزمن هو نهاية تسعينيات القرن الفائت وكان النقاش في جلسة المقهى محتدماً حول قصيدة لأحمد يماني حتى أن الجلوس انقسموا فريقين وانضممتُ أنا للمجموعة التي كان على رأسها صديقنا الشاعر فتحي عبد الله والتي كانت ترى أنه لا أطر مسبقة ومحددة وجامدة تحكم الكتابة الجديدة وأن وصفة " سوزان برنار" لا تكمن رسالتها إلا في أشكال وأنماط الخروج عليها .. كان يماني قد كتبَ قصيدة نُشرت في إحدى المجلات أفاض فيها في رسم طقوسه الذاتية ، بزاوية نَظَر تبتعد بمراحل عن التوهج والإشراق والحكمية والمجازات الفاقعة بالطبع ، كتابة أقرب للحكي أو للسرد البارد الذي تحس معه أنه لا رسالة معينة بالذات ، تقصد أو تطمح هذه الكتابة لتوصيلها ، اللهم إلا إذا كانت هذه الكتابة ، بمجافاتها للرسولية ، في حد ذاتها هي الرسالة .. من هذه التفاصيل التبول على سبيل المثال .. لا سمو و لا هدفَ كبيراً وعظيماً ولا مغزى بعمق البحر

وبُعْد النجوم وقرب إشعاعات الشمس .. اللهم إلا التواصل الإنساني البسيط المجرد من كل أشكالا الهالات ..

الصداقة ، بين شخصيات عادية وواقعية ، من بينها وليس على رأسها ولا مميزاً فيها على الإطلاق ، ذلك الشاعر وأشباهه المبدعين الذي خَلَعوا قُبَّعات النور فتنفسوا بشكلٍ أفضل .. شخوص تقابلها حولك في كل مكان وفي كل وقت ، لكنها قد تكون وحيدة وبالضرورة ...

كان الواقع الثقافي يُصَدِّر أسماء الأصدقاء الثلاثة إيمان مرسال وأسامة الديناصوري وأحمد يماني عندما يتحدث عن جيل التسعينات ثم تأتي بقية الأسماء .. ذلك الجيل الذي كان ساعتها شاباً وصاخباً وله مناوئون أكبر سناً وأكثر صخباً وقسوة .. ثم رحل الثلاثة ، مات الديناصوري وسافرت إيمان وسافر يماني ، ولكن قصائد أسامة كانت قد بدأت تبني أسطورتها الذاتية وتثبت في الوعي والذاكرة كلما أعيد اكتشافها وقصائد إيمان وأخبارها تصل إلينا أولا بأول وكان الدور على يماني الذي أضاف الترجمة إلى جوار نصوص أكثر نضجاً وعمقاً وإنسانية .. ترجمات

منتقاة بعناية ومصاغة بطريقة الشاعر الرهيف والحاد معاً والماكر على الدوام .. كان هذا الحراك في القاهرة فقط أما في باقي أنحاء مصر فكان يصعب عليك أن تجد من يتواصل مع دواوين يماني الخارجة من النشر الخاص ونسخه المحدودة ، ناهيك عن قصائده المنشورة غالباً في مجلات تتفق مع ذوقه الخاص ورؤيته ، مجلات الهامش ، التي تعبر كل منها عن حركة واتجاه يود أن يعيد النظر في الثوابت المتكلسة .. واستمر هذا الغياب إلى أن أعادت مكتبة الأسرة نشر ديوان " أماكن خاطئة " فصرت تتقابل مع من يمدح الجو والتفاصيل الأوروبية التي يلتقطها شخص شديد المصرية والحساسية أسمه أحمد أو يندهش آخر من التماهي بين الأبيض والأسود لمَّا تظهره هذه الذات الشاعرة والمتشظية بما يعني الاتساع ، والمنفتحة على زمان ملتبس يخلق جغرافيته كلما تتبدل أقنعتها ومناخاتها النفسية بالأساس .. يعجبون بالتواصل الذي تم والصداقة التي نَمَت بين أُناسٍ ، الألفة والدفء والحميمية على بُعْدِ خطواتٍ من ظلالهم .. وكائنٌ وحيدٌ

يقبعُ في لوحةٍ تمتلئ بتلالٍ باردةٍ وغربةٍ ذاتيةٍ تشبه الجِلْد المُمَّوه ، لا تغادر ولا تغيب ...

" سمير درويش: الذي اصطادته البساطة فأبصر والتحف بالأنثى فشاف "

كان مشروع النشر في هيئة قصور الثقافة المصرية الذي بدأه حسين مهران أواخر القرن الماضي يمثل بالنسبة لأمثالي من القابعين في الأقاليم والمضروبين بداء الكتب ، حلاً معقولاً حيث تصل الكتب لأول مرة إلى مدينتك الصغيرة، وعبر سلاسل تتجاوز العشرين فتعود لمنزلكم آخر النهار وأنت تحمل ما يكفي لسد نهمك وتهدئة نيرانك الدائمة مرحلياً ، حتى يأتي ميعاد معرض الكتاب أو أي فرصة لنزول القاهرة . وكان اليوم بداية الشهر حيث أسلم بائع الصحف مصروفي لثلاثين يوماً حتى " أسحب منه " طوال الأيام القادمة عندما اقتنيت ديوان " قطوفها وسيوفي " لسمير درويش ، أظن العام كان ١٩٩١ ، ولفت نظري وأنا أتصفحه أنه أكثر تميزاً في الإخراج وفي الخطوط والرسوم ، وأنه يضم شعراً يحمل لغةً مجازية فخيمة، وان كانت بمحاولة واضحة للانفلات تظهر في بعض الألفاظ

البسيطة والموضوعات المتاحة وفي التصريح بأسماء ثقافية مثل " حلمي سالم " الذي كان ساعتها يمثل " كياناً ثقافياً " مثيراً بالنسبة لي .. وأذكر أنه من ضمن المظاهر العفوية لمراهقة وسخونة طالب الجامعة الذي كتب الشعر العمودي لفترة ثم التفعيلي لفترة ثم اختار قصيدة النثر وكأنه يختار طوق النجاة الجمالي والوجودي ! أنني ربطت بين تألق الكتاب وبين اسم حلمي سالم ، وبدأت أُضيِّق مابين عينيَّ وأهمهم وأنا أشفط نَفَسَاً عميقاً مليئاً بالأخشاب من السيجارة الكيلوباترا وأقول : إن ذكر هذا الشاب لحلمي بالذات ليس مجانياً . قد تربطه به صلة مباشرة وليست فنية .. تلميذه ؟ إذن لهذا أوصى عليه ومن ثم ستصبح أمور مثل هذه تكئة لأن يضمن الأستاذ ولاء التلميذ ، وأقصد بالولاء ألا يخرج عن دائرة تأثيره أو اختياراته الجمالية ومغامراته .. على العموم سأتابع هذا الأمر بنفسي وأضع سمير في اختبار دائم لأرى هل سيخون أستاذه وينحت ملامحه الخاصة، أم سيكسب الكبير صك خلوده على حساب هذا القادم ..

ثم أسمع بعدها بسنوات ، غالباً عام ١٩٩٨ ، أن عم " أحمد " بائع الصحف في مركز" مغاغا " يبيع كتب دار شرقيات فأركب القطار وأسرع وأشتري كل ما وجدته وبالصدفة كان من ضمن الكتب الأخرى ديوان " النوارس والكهرباء والدم " لسمير درويش وهو صادر عن " كتاب إضاءة ٧٧ " يعني حلمي سالم .إذن فلأقرأ لأدرك هل استسلم بالكامل أم أن بذور الخروج طافحة وتُنبي بالخير كل الخير تماماً مثلما قال الولد الذي كان يهتم بما حول النصوص ومنتجيها ، بأخبارهم ومعاركهم .. باعتبار أنهم رحمة السماء الوحيدة له حيث أنهم الوحيدون الذين يشبهونه هو الخائف من العالم المتعالِي المريب والغامض غموض وحش الجبل .، وقرأت قراءتي التفتيشية تلك لأجد قصائد متراوحة بين الوعي القديم والوعي السبعيني ثم قصائد كاملة وجملاً بعينها تنتميان إلى أمر آخر تماماً ، أمر يخص هذا الإنسان ، حزنه وغربته المكانية التي وسمت روحه وسابت فيه جِلْدَاً يرتعش ليُنذر بانفجاراتٍ ومحاولاتٍ لقلب الآيات والمعالم . ثم أصدر سمير درويش

ديوان " الزجاج " عام ١٩٩٩عن هيئة الكتاب وهي اختباره الأول للعبة النص الواحد الممتد طول الديوان، وكان قد أصدر ديواناً عام ١٩٩٣ بعنوان " موسيقى لعينها / خريف لعيني " عن هيئة الكتاب أيضاً وتلاه " كأعمدة الصواري" عن هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٢ وهنا أقول أن نهاية المرحلة الفنية الأولى من حياة هذا الشاعر قد أزف أوانها ، مرحلة الشاعر الثمانيني الذي يصنع شعراً ينتمي لتقنيات وسمات كتابية عامة ، في جيل تكاتف ربما بدون اتفاق ، لتكون لقصيدته سمات مميزة ، تخصه هو ويعرف بها وتعرف به ، ليس لأن هذا يحمل تحققاً ورسماً لطريقٍ ومسارب .. الخ ، فقط ، ولكن ليصنع ثقلاً موازياً لجيل السبعينات ، الصاخب ، الذي يملأ المشهد شعراً ونقداً وحكاياتٍ ومعارك . معه أو ضده . تراه حلقة هامة في مسيرة الشعر المصري أو حجراًً مدبباًً وغريباً في نهرها .. أنت حر . لكن كيف تتاح لك رفاهية أن تتجاهله . بالإيمان أو بالنقض أنت معه ، بالطبع دون إغفال الفروق

الطبيعية – بل الواجبة – بين مشروع كل شاعر وآخر في هذا الجيل أو الآخر أو عموماً ..

سمير درويش طوال هذه السنوات كان يبحث عن سمير درويش ، عن الخروج والانعتاق من ذاته المثقلة بتاريخ الشعر العربي كله إلى ذاته التي تكتشف الشعر. وهي تتنفس مع السماء وسط زحام المارة . كنت أحس في دواوينه السابق ذكرها " بضراوةٍ " ما . كان يضرب في كل اتجاه . يجرب بعصبية المحب الغيور الذي كلما أمسك بطيف الحبيبة يروغ الجسد وتجاذبه ثوبها العصيِّ ،وكنت لهذا أراه شاعراً حقيقياً مهموماً وقلقاً يقترفُ ويقترفُ حتى تهلَّ لحظة الخيانة الكبرى التي توجِّه الخيانات الصغيرة في نهرها ،وإلى مصبٍّ لابد أن يكون نائياً وعصيَّاً . جَرَّبَ القصائد القصيرة والطويلة التي تعتمد على الإصاتة والتي تلتحف بالمجاز الصادم ، المتكئة على الواقع العربي وتلك التي تمتح من الاتساع الثقافي الغربي .. التي تتكئ على الذات، أو التي تدلف من العالم للذات المتثاقفة أو المباشرة .. الخ الخ لكن بطريقه تماثل الشاعر القديم الذي

كان يجيد الكتابة في كل " الأغراض " لهذا فكلما قابلته بالصدفة ، وأهديته عملاً لي يرمي ببصره على ديوانه هو ويسألني " ما هي مساحة رضاك عن الدواوين السابقة .." كان يسأل نفسه في الحقيقة ويستجدي أحداقه البندولية أن تكف عن الحركة قليلاً . وتوقف بالفعل وسافر للسعودية وقضى خمس سنواتٍ حج معها إلى الرواية وكتبَ " خمس سنواتٍ رمليةٍ " المكتوبة برهافة القسوة وقتلها المستمر .
أصدرها ٢٠٠٤ ثم مرت بعدها أهم ثلاث سنوات في ظني لأنها التي ستشهد إمساكه بـ " مدخله وسِكَّتَهُ هو " للتعبير وإعادة صياغة العالم على هيئة قصيدة ..
المرحلة الثانية التي أراها الأنضج والأكثر ثراء وغنى وفخاخاً أيضاً ، والتي أعلن فيها اعتماده طريقة " اليوميات " – قد يحق لنا أن نستدعي إعلانات سعدي يوسف عندما صرح بأنه ليس شاعراً وإنما " مُدَوِّن حياة "عندما سؤل عن يومياته المتوالية والتي قد تتشابه أو تحمل فنيةً باهتة، ولكن هيهات بين كل هذا السفر والتنقل والوجوه والحيوات التي تتحول دائماً وتكون زاداً لهذه اللعبة

الشاقة والممتعة عند سعدي ، وبين ظروف أي شاعر " غلبان " عندنا . يكون الأمر أصعب ، وربما تكون النتائج أكثر عمقاً وفنية ،وهذا هو الرهان والامتحان الدائم – وكذلك حسمت نهائياً تراوحاته الجمالية نحو القصيدة الخام البعيدة عن أي حذلقات شكلية واكتظاظ بلاغي ولكنها تَعِد – بانفتاحها على كل الفنون وأشكال التعبير وتسامحها وكونها ضد أي قطعية – في كل سطرٍ بمخابئ وكنوز ،والتي تكسر أي مقدسات فنية تاريخية كانت تمنعه من طَرْق موضوعاتٍ وألعابٍ بعينها بحجة البعد عن " الفخامة " والبريق اللغوي الذي يملأ الجِلْد والملابس وإن كان لا يدخل إلى الروح . قصيدة لا تتخلى عن المجاز الجزئي وإن كانت تميل نحو المجاز الكلي . قصيدة تساوي في القيمة بين المبتذل والعادي ، والمتعالي . بين الفلسفة في أيٍ من تجلياتها وعلى أيٍ لسانٍ وبين الحكي .. قصيدة ترى الشعر في خصلة ضائعة وسط كلام بائعي مترو الأنفاق بالضبط كما تراها في سطوحٍ يتلوى بالشمس الحارقة . هذه المرحلة بدأت بديوان " يوميات قائد

الأوركسترا " ٢٠٠٧ الذي صار مَعْبَراً لانداحٍ فنيٍ عَضَّ عليه سمير بالنواجذ . الأنثى التي كانت مقدسة في الماضي – حتى في قصيدته هو وإنْ بدرجات – ورضيت أخيراً أن تتحول قداستها وأسطوريتها إلى لحمٍ ودم ، إلى طعامٍ ورائحةٍ وملمس . حاوَرَ درويش هذا الكائن الذي اختصر به الكون وأعاد به وعَبْرَ ثناياهُ رسَمَ كونه الخاص . عَبْرَ تفاصيل المرأة ووجوهها المتعددة وأحوالها وحالاتها وتشظيها واكتمالها ونقصها وموتها وصعودها . عبر جسدها الذي أعطى الشاعر مفاتيحه فاستنشقَ وصَفَّقَ شَعْر الكائنات جميعهم وطار بهم ومعهم نحو الجنة والجحي. أنجز في مغامرته الكبرى هذه عدة دواوين " من أجل امرأةٍ عابرة " ٢٠٠٩ ، " تصطاد الشياطين " ٢٠١١ ، " سأكون ليوناردو دافنشي " ، " غرام افتراضي " ٢٠١٣ " في عناق الموسيقى " ٢٠١٤ ، " أبيض شفاف " ٢٠١٥ .. لا يفرق كثيراً إن كان يمسكها من ثوبها أو حنجرتها أو حتى وعيها ، في قصائد قصيرة يؤرخها ويحددها أو يحاذيها ثم يسكنها ويحتلها بالكلية في قصائد طويلة تحتل

مشهد الديوان بالكامل .. والآن تستطيع أن تتابع شاعراً طاوعته اللغة ومكَّنته من قدس أقداسها يكتب شعراً أو يعلق على حدث ما .. يصف يوميات مرضه في المستشفى بقصائد لا تقل عذوبة عن قَصِّهِ لسيرته الذاتية. خلع سمير درويش أردية الشتاء الثقيلة فانطلق في صيفٍ دائم ويعد حتماً بكل قريب وحميمي ومغامر . وختاماً ، لمَّا كتب سمير مقالاً ينتقد فيه حلمي سالم ابتسمتُ وقلتُ كم هو ماكرٌ طول الزمان ، هذا الشِعرُ .. وربما لهذا هو مغوٍ .

" خالد الصاوي أو مقاومتنا الفاتنة للفناء "

كنت أرقد مريضاً وإذا بالباب يدق ويُدخلون عليَّ الصديق شاعر العامية جاسر جمال الدين ومعه أحد الأشخاص .. كان هذا الموقف في تسعينيات القرن الماضي وكان الشخص الآخر هو خالد محمد الصاوي الذي كنت أراه للمرة الأولى .. بمجرد معرفته أن أحد أصدقاء جاسر مريض انتفض وقال نذهب لعيادته ولو كان في بلد آخر ولو كنت لا أعرفه .. علاقة خالد الصاوي بالجدعنة والرجولة والشهامة قديمة ومتأصلة ومكون رئيسي في شخصيته و يندر أن تجد شخصاً من ضمن دائرة حياته ولا يحمل في قلبه فائضاً من الامتنان لوجود هكذا شخص في حياتنا ..تحس بجواره بالأمان وبأنه لن يتركك أبداً حتى آخر قطرة في دمه وبالعكس سيهاجمك بعنف إن كنت مخطئاً ..شخص مبدأي في أوساط المثقفين ؟ بعد عِشْرَة عشرين عاماً معهم أعتبر هذا الأمر نادراً لأنهم الفئة الأخطر بقدرتها على فعل التبرير وفلسفة الأمور

وإضفاء المشروعية على الموقف و عكسه ونقيضه كذلك .. كان الوجه الأول لخالد الصاوي الذي عرفته به هو وجه السياسي المحرض نصير الفقراء وهو الدور والوجه الذي لم يتخل عنه أبداً حتى أنني كنت أهاتفه أثناء وبعد ثورة يناير وفي موجاتها التالية راجياً إياه أن يهدأ وأن يرتاح قليلا قائلاً خفف الوطء أرجوك ..كان وهو المريض يبدأ المظاهرة ولا يتركها إلا وهي محتدمة حتى لو كان المشهد في نهاية النهار هو كونه مغشياً عليه ومحمولاً من أيادٍ مرتعشة والجميع يقول أبقه يارب ..وارتبط بوجهه السياسي وجه الباحث في الإسلاميات وأنجز بحثاً ممتازاً نشره في كتابه الأول ويعكف حالياً على آخر ينحاز فيه لكل ما هو مستنير وصالح للاستمرار ويقرأ شرطه التاريخي في التجربة الدينية .. ثم أبت قدرته على التحليل وكذلك علاقته المستمرة بالثقافة إلا أن تأخذ وجه الناقد الرصين الذي يحب العمل أولاً ويتقمص شخصية كاتبه فإذا بالأعمال تبوح وتعطي أسرارها لذلك المريد ، فأنجز دراسات في شعر العامية المصرية أصدرها في كتاب وله

آخر يجمع دراسات الفصحى .. لكن هل انتهت الوجوه المتعددة لهذه الشخصية الفريدة ؟ بالقطع لا يليق بمن كان مثله هذا ..فخالد شاعر كذلك وناشط ثقافي مثلما هو ناشط سياسي.. فجمع بين الكتابة وبين محاولة ترجمة الرؤى التنويرية إلى طريق وطريقة في الأداء والعمل وكان من حسن حظ الثقافة في بني سويف وخاصة بعد محرقة قصر الثقافة التي أصابتنا جميعاً في مقتل أن نكون نحن وتكون الثقافة وِجْهة له ومحلاً للنضال فكان يتصل بنا ويحمِّسنا ويقترح البرامج الثقافية ويعلن بشكل صريح أن الانتصار على الموت لا يكون إلا بالحياة .. ستجد اسمه ونشاطه ودمه كذلك في كل ما تم في بني سويف في السنوات الأخيرة من أنشطة ثقافية سواء في المؤسسة الرسمية أو في مؤسسات المجتمع المدني رغم نوبات مرضه المتعددة (وكيف لا يمرض وهو يضع وطنه في روحه ويسقيه ويرويه كل شمس – أقصد هذه الجملة

بحرفيتها ودون مجازات) .. خالد الصاوي سَلِمَ وعيكَ الصادق وسَلِمَ قلبك الكبير يا رفيق ..

جذور

" بيوت مصر وروحها الندية .."

إذا نظرنا للتجمعات العمرانية المصرية وأماكنها سنجد أن التقسيم الإداري العتيد يقسم الدولة تقسيماً هرمياً : محافظات كبيرة ذات هيئة مركزية كالقاهرة والإسكندرية ثم محافظات أصغر في المساحة والإمكانيات و على الهامش منهما مناطق عشوائية تأوي أعداداً كبيرة من البشر بعيدة بشكل عام عن النظام لكنها بطبيعة الأمور تبني نظامها الخاص ثم المراكز الأقرب ل (المدينة الكبيرة) ثم القرى ثم العزب والكفور والنجوع .. وإذا ركزنا نظرنا على الأخيرة – ربما بسبب الحنين – نجد أنه قد يتصادف أن تكون كل منازل العزبة أو النجع تنتمي في الأساس القريب أو البعيد لمؤسس واحد أو جد أول أو مؤسس لأسرة كبيرة أولى.. فتكون بداية تكوين العزبة (بيت واحد) كما يقال ، ثم تفرع وتعددت البيوت المنتمية إليه .. فتسمع من يقول إن عزبتهم كانت في الأصل بيت الحاج فلان – الذي قد يكون نازحاً من مكان آخر بعيد–

ثـم أصـبحت العزبـة حاليـاً ثلاثـين بيتـاً كبيـراً وكلهـم أولاد عمومـة .. والعصـبية والقرابـة لهـا اعتبـار أقـرب للقداسـة والمعتقد حتى الآن .

كانـت البيـوت قـديماً مكونـة مـن الطـوب اللبنـي ويسـمى (الطين الأخضر: الني) فكانت تصنع (معجنة) مخمرة بـالتراب والتبن – المتخلـف مـن الزراعـة وهـو نفسـه غـذاء للحيـوان– ثـم يُتـرك العجـين لعـدة أيـام فـي الشـمس حتـى يتخمـر وتُصـنع قوالـب خشـبية ويُصَـب فيهـا هـذا الطمـي ويُترك ليجف ثم تُبنى بـه البيوت .. ومميزات هذا الطوب أنـه رطـب وبارد في الصيف ومحتمل في الشتاء (ويُحِسُّ الإنسـان بالألفـة مـع هـذه البيـوت الطينيـة لأن الإنسـان – حسب المعتقد الديني– خُلق من الطين) ويمسك بين كل طوبـة وأخرى طمـي لبنـي فيتماسك البنيـان .. ثم دق نفيـر الحضـارة وتحولـت مـواد البنـاء إلـى الأقل طبيعيـة والأكثـر ماديـة – إن صـح التعبيـر– فكـانوا يصـنعون مـا يسـمى بـ (القُمْـران .. جمـع قَميـر) وتسـمى طينتهـا (حُمْـرَة) وهـي (كسر الطوب الأحمر المفتت ومعها جير أبيض) وهذا

الخليط هو المازج بين الطوب الأحمر الذي ينضج في النار.. كان ذلك قبل وجود مصانع الطوب الأحمر ذات الشكل الاسطواني الطويل التي تشبه البرج ويتصاعد دخانها الأسود في السماء .. هذا الطوب الأحمر كان قبل هذه المصانع يُصنع يدوياً : تُبنى كتلة من الطوب اللبني ينفتح بها (عيون) من أسفل ، توضع بها (البلاك الأسود) ويُشعل فيها النار ثلاثين يوماً تقريباً ، ويُترك هذا الطوب ليبرد (مع ملاحظة أنه يُبَرَّد بدون ماء) .. ونعود لكلام الجدود الذين فزعوا من الطوب الأحمر لأنه (قاسي) و يُصنع من النار أما الطوب اللبني فليِّن وأقرب للإنسان .. لهذا قاوموا الطوب الحراري لفترات لصالح الطوب اللبني .. وبعدما زحفت المدنية وفرض الطوب الحراري نفسه ، كنتَ تستمع لمصمصة الشفاه والغضب على هذا الإنسان الذي يبتعد (عن أصله) ..هذا الإنسان الذي يعبث في الطبيعة ويفسد بكارتها ويخرج خبثها المخبوء .. ويحل أوان هذه الحكمة مع اشتداد الحرارة في الصيف .. فلو رش الناس الماء على حوائط البيوت تهل

النسمات الطرية لكن مع الطوب الحراري ، من أين تأتي النسمات والأساس (ناري) !! تحولت البيوت إذن من البيوت الطينية إلى الحديثة في أغلب المراكز والمدن ثم في القرى لكنك تجدها أيضاً في المدن الكبيرة ذاتها في بعض الأزقة والحواري الضيقة وكذلك مناطق وشوارع كاملة في القرى والعزب .. ويدل استمرار هذه البيوت الطينية على الفقر المدقع وتدني مستوى الدخل .. حيث أن أول مظاهر تحسن الدخل وأول خطوة وأكبر حلم في الأماكن الطاردة للعمالة ، وبعد السفر للعمل في القاهرة والإسكندرية وغيرهما من المحافظات الكبيرة ، ثم الدول العربية بعد مرحلة السبعينات - هو بناء بيت حديث يسمح ببناء أدوار فوقه لسكن الأولاد .. هذه البيوت الحديثة يسميها الروائيون المصريون ، خاصة في أجيال الستينيات والسبعينيات (العلب الأسمنتية) لأنها استبدلت البساطة والطيبة – وكذلك القرب من الطبيعة وصحة الإنسان– بالبرود والقبح وانفراط عقد التواد والتراحم واستبداله بوحدة الإنسان واكتفاءه بنفسه في سجنه

الأسمنتي المسمط .. ومن الوحدات التي فقدها النازح من القرية إلى المدينة : الفرن الطيني ، الذي يقاد من عفش البوص وروث البهائم والذي كانوا ينامون فوقه في الشتاء ..

كانت البيوت السويفية القديمة – الكبيرة منها بالذات – تتميز بالسقوف العالية وذلك لزيادة التهوية – أو لكي يدور الهواء براحته وبلا حواجز كما كان يقال– وكانت الحيطان عريضة والنوافذ عالية يصل بعضها ل٢ متر طول x ١.٥٠ متر عرض والأسقف كانت قديماً تُصنع من الخشب (عروق رفيعة وطويلة وألواح مسطحة وعريضة) وقديماً أكثر، كانت هذه الأخشاب من (حزم جريد النخيل الناشف) .. وتتميز الأخشاب بالمتانة والمرونة بما يسمح بتعدد الأدوار المعقول .. لكن الأمر اختلف كلية في المباني الحديثة فأصبحت التقسيمات أشبه بالمربعات الأضيق وسيئة التهوية وبالتالي برزت مشكلة الحرارة التي تحتاج معها البيوت للمراوح والتكييف بعد ذلك وهو ما لم يكن مطروحاً قديماً .. وعموماً يحب المصريون

أن تكون بيوتهم (بَحْرية) وليست (قِبْلية) أي أن يكون البيت أقرب لاتجاه الشمال وليس للجنوب تجاوباً مع اتجاه سير الهواء الطبيعي ...

بالنسبة للدهان كان قديماً من الجير الأبيض وبعد ذلك أصبحت طبقة من البلاستيك تمتزج به لتضمن له العيش أطول ثم دخلت الدهانات الحديثة وتنوعت طرقها وألوانها .. وكانت الإضاءة عبارة عن لمبة بشريط من القطن والغاز الأبيض في علبة زجاجية و بها رأس زجاجي أقل في السُمْك في أعلاها .. وعند تواجد الضيوف كان أصحاب البيوت يطلبون من بعضهم (فانوس بكبَّاس) وبداخله (رتينة) وهي (فِتَل حرارية) تخلق إضاءة أقوى .. ثم دخلت الكهرباء كل البيوت والأماكن .. وتختلف منازل العائلات الكبيرة سواء في المدن أو في التجمعات الأصغر عن بيوت الفقراء ، حيث تكون الأخيرة عادةً أقرب للتشابه والتماثل والعادية والبساطة في تكوينها المعماري أما الأولى فتُشاهِد فيها نقوشاً رومانية أو منحوتات لأطفال أقرب للملائكة وتماثيل متفاوتة الأحجام

على بدايات سلالم المداخل وورود منحوتة على النوافذ التي يصل حجمها في البيوتات العريقة لحجم وطول الإنسان ذاته ، وتكون الأبواب من فوق على هيئة نصف دائرة أو مسطحة ويكون المزلاج على شكل تمساح أو أبو الهول أو كف مضمومة تحمل كرة .. غرف هذه القصور متسعة جداً والسقف عال تزينه الرسوم والنقوش .. وتسمى غرف الدور الأول (المنادر .. جمع مندرة) وهي الغرف المعدة للضيوف دائمي حضور الأمسيات الصيفية ، أو لضيوف المناسبات .. ويكون بهذا الدور المطبخ وملحق به غرف للخزين وكذلك أكثر من دورة مياه (كانت تسمى " المحل" أو بيت الراحة) أما الدور الثاني المعد للنوم فتتجاور فيه غرف النوم المتعددة وبينها (طُرُقات .. جمع طُرْقة وهي الممر بين وحدتين) وحمامات .. يربط بين الدورين سلم ضخم دائري عادة ومزين بالنقوش في بدايته تمثال وعند نهايته كذلك ودرجاته واسعة وعريضة .. وتتميز البلكونات بأنها عادة على شكل نصف دائرة كبيرة ومتسعة ومزينة طبعاً بالنقوش وعالية بشكل ملفت (لتطل

علـى الخـدم والفقـراء مـن عَـلٍ !) لكـن المشـهد المؤسـف والمحزن أن يرى المرء عملية هدم لبيت بمثل هذه الفخامة وهذا الفن والجمال والإتقان الفني الملفت في سبيل بناء عمارة سكنية تتكون من عدة طوبق متماثلة متراصة كأنها علب بلا فرق بينها ولا تمييز ..

كـان الجميـع – سـواء فـي المـدن أو القـرى السـويفية – يحرصـون علـى تـزيين واجهـات المبـاني بـالنقوش والرسـوم فنقابـل مـثلا رسـماً (للزنـاتي خليفـة) بتكوينـه الأقـرب للسبـع وشـواربه الطويلـة .. أو ينقش الشـخص وهـو يبنـي منزلـه صـورة ثعبـان أو حمامـة وهـي أمـور متوارثـة مـن أيـام الفراعنـة ، أو رسـم (مـار جرجـس) وهـو يصـرع التنـين و نقــش للصــليب فــوق البــاب الرئيســي ، هــذا بالنســبة للمسـيحيين .. ويعتبـر الحـج وزيـارة الكعبـة والرسـول عنـد المسلمين هو الفرحة الحقيقية ، فتجد رسمة الباخرة (حالياً الطائرة) على واجهة البيت وبجوارها صورة الكعبة وتكتب عبارات من عينة حديث الرسول (ص) " من زار قبري وجبـت لـه شفاعتي " أو " جيتـك يـا نبـي الله " أو " مقامنـا

بقى عالي بزيارة النبي الغالي " و كذلك " ألف مبروك يا حاجة فلانة " أو " الحاج فلان .. " مع تغليظ كلمة الحاج أو الحاجة في الكتابة .. وعند خروج هذا الحاج أو الحاجة إلى السفر المقدس يتوافد أهالي البلدة جميعاً للسلام عليه وقراءة الفاتحة معه على أن يدعو لهم ويخرج الحاج في زفة إلى مكان مغادرته ، وتتكرر نفس الطقوس إذا عاد فالجميع يستقبله والجميع يصير بعدها يتبرك به ولا ينادونه بدون اللقب الغالي " الحاج " ..

وعندما نذكر الزواج نتذكر أن شكله الوحيد قديماً كان أن يُمنَح كل ولد غرفة تسمى (مقعد) في نفس البيت ، فوجود الأسرة كلها في حيز واحد هو الطبيعي والمعتاد أما سكنى الولد بعيداً عن أبيه فدلالة على عقوق الابن وغضب الوالد عليه .. ومهما كان عدد أولاد الأسرة الذين هم نتاج زواج الأبناء ، كبيراً ، إلا أن الجميع كان يحرص على التجمع في أوقات الطعام (على طبلية واحدة) .. وفي الأعياد يجلس الجد الكبير في الصدارة ويتدافع الأولاد والأحفاد ليأخذوا (العيدية) بعد تقبيل يد كبير العائلة ..

وتجدر الإشارة هنا أنه ، إن كان للرجل الصدارة والاحترام المبدئي والطبيعي غير القابل للتغير والتبدل إلا أن المرأة سواء في المدن أو في القرى و النجوع و ما شابه ، هي المحرك الحقيقي لكل الأمور الحياتية حتى لا ينزل الرجال لمستوى المهام الصغيرة حيث يكفيهم الزراعة (التي تعاون المرأة فيها أيضاً !) .. ولوقتٍ قريب كان أهل البلاد الصغيرة لا يرحبون بتحديد النسل لسبب قديم يتجدد مع ثبات الأحوال الصعبة هو أن يساهم الجميع (بما فيهم الأولاد) في تسيير سفينة الأسرة الاقتصادية .. في النهاية سنجد أن مصر لازالت تتبع الترتيب (الهيراركي) : فالقاعدة هي المدن الكبيرة التي تتمتع بوجود المصالح الحكومية المركزية وتوافر فرص العمل ثم المحافظات ثم المراكز ثم القرى ثم الكفور والنجوع والعزب .. لكن الهجرات الداخلية والخارجية وتغير أنماط وأشكال الكسب وفرص العمل وثورة الاتصالات وتطور وسائل المواصلات يغير ويبدل في التركيب الديموجرافي بل ويعيد رسم وإنتاج

التوازنات التي تُسَيِّر الأمور وتخلق الأعراف والعادات كل يوم ..

" حكايات شعبية من محافظة بني سويف "

جمع / مؤمن سمير

*** أولاً حكايات شعبية حِكَمية :**

*** الحكاية الأولى :**

كان فيه جمل وحمار أصحابهم بيحمّلوا عليهم في الشغل..فالحمار قال للجمل يلا نهرب منهم..وفعلاً استنوا لما الليل جه وهربوا في الصحرا..وهما ماشيين الحمار قال للجمل أنا فيه جوايا صوت يعني عايز انهق..الجمل قاله علشان خاطري إوعى تعمل زيطة أحسن حد يسمعنا فيعرفوا مكانَّا..الحمار قاله متخافش يا أخي دانا حتى بانهق بصوت واطي خالص وفعلاً بدأ ينهق بشويش وبعدين الحماس أخده فصوته بقى يعلى ويعلى لحد ماسمعه جماعة تجار كانوا ماشيين فراحوا ناحية الصوت ولقوا الحمار والجمل ..فرحوا ومسكوهم وشغلوهم في شيل الإشولة...بقى الجمل متغاظ ومش قادر

يتكلم..التجار حمِّلوا عليهم جامد في الشغل لحد ما الحمار قرّب يغمى عليه وبِرِك مكانه..راح التجار شالوه وحطّوه على الجمل الغلبان..فاق الحمار وقرّب راسه ناحية راس الجمل وقاله ازيك ياجمل ...سكت الجمل وبعدين قاله أنا اللي غلطان من المبتدا للمنتهى لأني مشيت ورا كلام حمار !!!

المصدر / سيد محمد علي مفتاح، قرية " بلفيا " التابعة لمحافظة بني سويف ، ٧٩ سنة ، فلاح .

* الحكاية الثانية :

كان فيه بلد صغيرة كل أهلها طيبين وغلابة وكانوا بيجمعوا من كل واحد منهم كيلة درة شامي وكيلة شعير ويحطوهم في يوم معين في السنة في طاحونة قديمة في النهار عشان العفريت ييجي بالليل ياخد الغَلَّة...قعدوا على الموضوع ده سنين طويلة لحد ما صادف إن كان فايت على البلد راجل عاقل وحكيم في نفس اليوم الموعود..سألهم ليه بتودّوا رزقكم في الطاحونة فقالوله

عشـــان العفريـــت مـــن أيـــام الجـــدود بييجـــي بالليـــل وياخـدهم...فهم الراجـل إن فيـه حرامـي بيضـحك علـيهم ويسـرقهم..قالهم طيـب أنـا النهـارده رايـح أقابـل العفريـت عشـان أقنعـه يسـيبكم ومـا يخـدش حاجـاتكم قالولـه انـت مجنون ؟ حد يعرف يشوف العفريت ! ارجع أحسن ياكلك قـــالهم ماتخـــافوش كـــل واحـــد بياخـــد نصـــيبه..قعد فـــي الطاحونة واستخبى لغاية الليل ماجه ولقى الحرامي داخل فراح عامل صوت مرعب وقالـه استنى عنـدك رايـح فـين ..الحرامـــي اترعـــب وقالـــه انـــت مين..قالـــه أنـــا عفريـــت والمكـان ده عجبنـي ومـش هاسـيبه..لو شـفتك تـاني هنـا هاسخطك قرد...قاله توبه أهوِّب من الحته دي تاني أبداً أبـداً أبـداً... الراجـل نـده نـاس البلـد وفهمهـم الحقيقـة ورجعلهـم حاجـاتهم ..ومـن يوميهـا بقـوا النـاس يحكـوا لـبعض ويقولـوا صـدق المثـل اللـي بيقـول " ماعفريـت إلا بنـي آدم "....

المصدر/ عطية مسعود نـاجي، قريـة " هربشنت " التابعة لمركز ببا محـافظة بنـي سويف،٦٩ سنة، فلاح.

* الحكاية الثالثة :

كان مرة فيه واحد فايت على واحد واقف جنب بير غويط .. رمى عليه السلام بصوت عالي راح الراجل اتخض ووقع في البير..أهل الراجل الميت قعدوا مع أهل الراجل اللي خَضُّهْ في" قعدة عرب " يعني زي المحكمة بالظبط .. ناس عاقلة وكبيرة تحكم بين الطرفين.. المهم إنه كان وسط المُحَكِّمين مُحَكِّم مشهور وعاقل من البدو... انعقدت الجلسة وتأخر المحكِّم البدوي وقت كبير لغاية ما الناس اتضايقوا.. وبعدين وصل وهو لابس عمامة كبيرة وراح داخل على القعدة ومار ماش السلام على القاعدين وقعد علطول.. الناس استغربوا وزعلوا وقالوا دي باين عليها " عِمَّه على بِهِمَّه " وكانوا بيقصدوا إنه تصرف مش حكيم .. فرد عليهم وقال لا والله دي " عِمَّه على فِهِمَّه " .. قالوا ازاي ؟ قال أصل لو رميت عليكم السلام هتقعوا ميتين زي الراجل اللي رمى السلام على واحد فمات... ففهموا قصده وحكموا ببراءة المتهم لأنه مكانش

قاصـده يموتــه إنمــا نصـيبه كــان كــده... يعنــي قضــاء وقدر....

المصدر/ أحمد جميل كامل، مركز أهناسيا، محافظة بنـي سويف، ٧٠ سنة، فلاح .

<u>* ثانياً : من طرائف الطيبين في بعض قرى مركز الفشن التابع لمحافظة بني سويف :</u>

قرية " طلا " :

طب مفتش التعليم على مدرسة البلد لاقاها فاضية : لا تلاميذ ولا هيئة تدريس ولا إدارة والخفير نايم جنب الباب سطيحة .. صحاه واستفسر عن سبب الغياب خصوصي إن النهارده التلات قال الخفير: يعني انت يافندي عايز الناس تيجي الشغل يوم الجمعة!! رد المفتش يابني النهارده التلات وانا لسه جاي من الإدارة التعليمية ..فاستغرب الغفير وقاله :كَنَّك مجنون (= كأنك مجنون) يافندي صدقني النهارده الجمعة ! فمشي المفتش وركب العربية وسأل الكل فيها فأكدوا إن النهارده الجمعة فرجع المفتش وقال لزملاته في الشغل : أنا خرجت الساعة سبعة الصبح والنهارده التلات ورجعت الساعة عشرة والنهارده الجمعة !

قرية " الجمهود " :

كان فيه مجموعة من أهل البلد راكبين المركب عشان نقل جتة واحد متوفي للمدافن في الشرق (شرق النيل) فاتخانقوا مع بعض فقال واحد : اهدوا واخرسوا دا احنا على كف الرحمن ..فحك واحد ناصح منهم دقنه وقال : هو إيه ده .. يعني لو الرحمن كَرَش ..يكبنا في البحر!

قرية " بني صالح " :

واحد سأل راجل بقى غني فجأة عن سبب غِناه فقاله :أنا بادعي ربنا دايما ولو دعتله وانت مغمض ولوحدك هيخليك غني علطول ..فراح الراجل على غيطه واتوضا وصلى لاول نوبة ف حياته وفضل يقول : يارب خليني غني يارب خليني غني ..وفجأة العَفَرة قامت وكبِّته (أسقطته) على وشه فشوح بيده وبص للسما وقال : لأ لأ بس ماتزقش!

قرية " نزلة حنا " :

كان القسيس بيقول وعظته في الكنيسة و لما لاحظ إنهم مش منتبهين بقى يمر على كل واحد يقوله قولي آية من الكتاب المقدس تبتدي بحرف كذا .. لغاية ما وصل عند واحد نعس قوي فهزه وقاله عايزين آية تبدأ بحرف اليِّه (الياء) فرد بسرعة : يا ..يا قاعدين يكفيكوا شر الجايين !

عزبة " جرجس " التابعة لقرية " إقفهص " :

كان القسيس بيقول وعظته في الكنيسة ولما وصل لحد إنه قال إن المسيح بعدما اتصلب واندفن وقام من الأموات وصعد إلى أبوه السماوي هينزل مرة تانية فرد واحد وقال : يعني يابونا هو ماتابش من العلقة الأولانية ولا إيه !

قرية " الفنت الشرقية " :

اشتكى واحد من وجع في كليته فراح للدكتور الي سأله : أنهي جنب واجعك ياحاج ؟ فرد عليه : مش جنبي دي شِقِّتي ياداكتور! فالدكتور قال : ماشي ياعم إنما أنهي واحدة فيهم ؟ قاله: والله ياداكتور وانا نايم عالفرن بتبقى الشِقَّه اللي واجعاني هي اللي ناحية بيت أبو جابري بالظبط !

قرية " بني منين " :

حصل إن عجل صغير عطش فمر على زير ودخَّل راسه فيه عشان يشرب لكنه ماعرفش يطلع راسه فقعد يبركس (يضرب بشدة) برجليه ويخبط راسه بالزير في الناس فقال العمدة : مافيش حل غير إننا نقطع راسه وقطعوها فعلاً بس الراس ماخرجتش فاضطروا أنهم يكسروا الزير ويطلعوها فهز العمدة راسه وقال : يعني لو كسرنا الزير من لاول(من الأول) مش كنا نَقَذنا (أنقذنا العجل .. يا أغبيا ياولاد الكلب ..!

عزبة " الدمرداش " التابعة لقرية " بسفا " :

كان فيه شاب صغير بيقولوا عليه طيب شويه راح مع امه لبيت العروسه عايزه تاخدهاله (تزوجها له) فامه عطته قرطاس السكر وورقتين الشاي وقالت له لو وافقوا طلع الواجب ده من سيالتك(الجيب الداخلي الواسع) ولو ما وافقوش ماتطلعمش وراحوا فعلا وفتحوا في (السهاري) الشاب ياعيني ما فهمش هما وافقوا ولا لا فبقى يسألها كل كام دقيقة :أطلعه يامه..ترد عليه : اصبر شوي ..لغاية ما سمع زفة معدية جنب البيت فمقدرش يمسك نفسه وجرى على بره وعلى باب البيت طلع السكر والشاي ورماهم على أبو العروسه وقاله : خد ياحاج ولو ماوافقتوش أمانه عليك تديهم لامي ..

المصدر: الحاج /مصطفى محمد إسماعيل ،٧٠سنة ،وأخيه سالم ٦٥سنة وأولادهما وقد عملوا خفراء في معظم قرى الناحية ..

<u>* كلمات وعبارات اختفت حالياً وكانت تستخدم قديماً في الريف السويفي ، حمع / مؤمن سمير :</u>

سيجارة نَكْت (= سيجارة واحدة)

يتمظرط (= يتمنظر)

داير يُهق (= يضيع وقته)

ولا بَزَمَك (= ولا كلمة واحدة)

مصنبع (= مِصَدَّر و متنَّح)

راجل هُرْش (= راجل مالوش لازمة)

مِرْش (التلوث العالق بالهواء الذي ينزل على الزرع ويؤثر عليه)

لايع (= طمَّاع ، دِني أو طِفِس)

تَرَس (كبش أو خروف .. ويوصف الرجل اللامبالي بأنه تَرَس)

يمرطسوا عليه (= يمطوحوا الموضوع)

البُوُح (=الترمس)

الحياقة (=الحِلْبَة)

في ضهره عَضمة (= له واسطة)

توالينا (= أهالينا)

بَدَنة الشخص (= عائلته الكبيرة)

الطاش (= الفاصل بين الحوض والحوض في الحقل)

راجل بازاوانجي (= كذاب ويميل للمظهرية)

<u>* مـن أشـكال العبَّـوات المتعلقـة بالزراعـة التـي كانـت ولازالت في القرى والعزب :</u>

بترتيب الأقل في العبوة ثم الأكبر :

الشكارة (من الخيش أو القماش أو البلاستيك وعبوتها ٢٥كيلو جرام)

الكيس (من الخيش أو البلاستيك وعبوته ٥٠ كيلو جرام)

الشوال (من الخيش أو البلاستيك وعبوته أكبرمن ٥٠كيلوجرام وأقل من ٧٥ كيلوجرام)

الشِليتة (من الخيش أو البلاستيك وعبوتها ٧٥ كيلوجرام)

الشِنف (من الليف وهو مفتوح من كل الجوانب لذلك لايوضع به إلا الأشياء الكبيرة الحجم والمتماسكة ويماثل الشليتة في العبوة)

المصدر: عبدالمسيح ذكي أبسخيرون ،٦١سنة ، قرية " الفنت الشرقية " التابعة لمركز الفشن ، فلاح

إشارات

" في سؤال الثقافة "

في هذه الفترة الملتبسة من تاريخ الوطن يصح لنا ، نحن المعنيين بالسؤال الثقافي الذين جُبلنا على تعاطيه فكراً ومساءلةً وإبداعاً وارتضينا به بوابةً لمقاربة العالم والانفعال به والتفاعل معه .. أن نتساءل ، عن وفي ، مشروعية الثقافة كقيمة مؤسسة رئيسة وعن التثاقف في طور الممارسة العملية ، باعتبارهما حائط الصد ضد الانهيارات المتعاقبة وكضمير ومعيار دال وكاشف ، في ظل البحر المتلاطم الذي تعبر عنه حالة عدم المعيارية والسيولة التاريخية التي تحوطنا اليوم .. هل تصلح قيم الثقافة وما ترسخه في وعي البشر وما تطمح لأن ينسرب إلى تكوين ودقائق الإنسان ، لتُهَيِّئَهُ بعدها للنظر المتوازن العقلاني والتفكير المنهجي وامتلاك النظرة النقدية واتساع الرؤية وقبول الآخر أياً كان .. أقول هل تصلح هذه القيمة الجليلة لمقاربة الآني المتشابك والعصي حتى عن الملاحقة .. أو بالأحرى ، هل ما تزال تتمتع اليوم بنفس

المكانة التي ظلت تتبوأها لفترات ليست قليلة من عمر الوعي ، نَعِمَ فيها المفكرون والمبدعون بصفة ودور المشاعل والشموس وحاملو مفاتيح الحق والخير والجمال في هذا العالم ..؟! لكن بما أن الواقع فرض علينا أن نكون منصفين وواقعيين ونعترف بالتغيرات الهائلة التي مرت وتمر بالعالم ودفعت بالإنسان لأن يفكك كل المستقرات التي سكن تحتها طويلاً ويُعمل النظر فيها وينزع عنها القداسة .. وأن نعتبر فكرة الثبات والاستقرار من الأساطير والحفريات .. وأن نرى الإيمان المشترك الآن بين البشر هو تصدير فكرة ويقين حتمية التغيير المتلاحق ومشروعيته .. وأن نقول صباح مساء إن التحولات التكنولوجية والسياسية والقيمية والتقنية .. الخ صارت أسرع من وعي الإنسان بها وأكبر من أي ادعاء بالإحاطة الكاملة .. بل وأن نُحَيِّي الوعي الجمعي للبشر كلما أخذ يجول في الطرقات مجللاً بالنسبية وبعدم منطقية أي غرور بالمعرفة .. مادام الأمر هكذا .. فلا مناص من رسم المشهد هكذا :

كلنا نلهث .. وكلنا نحاول أن نجد لنا مكاناً نستوعبه ويستوعبنا ، اليوم على الأقل ..

في وسط كل هذا يكون على المثقف عبءٌ أكثر تعقيداً وتركيباً .. لقد تحول من وضعية الرائي ومالك المعرفة وبوصلتها إلى مجرد واحد من المساهمين في صيرورة هذا الواقع ، وبأهمية تتساوى مع الجميع وبلا أي تميز ..

لهذا تحتم عليه أن يعي موقعه أولاً ويتفهم ويستوعب آليات هذا التسارع المجنون وينزل قيمه على الواقع الفعلي كيلا ينسحب ويتجمد تحت نظرياته وأوراقه .. ثم بعد مرحلة التعايش وسبر أغوار الواقع عن قرب والمشاركة الأكثر التصاقاً لأركانه وأجزاءه ، يتحول لدوره المفترض والواجب – لم يعد لائقاً أن نقول الدور الأسمى – في الفهم والقراءة الواعية والتفسير والاقتراح والبحث عن الثابت والمقيم وسط أمواج العابر وتياراته التي تتلون بألوان السرعة والتقدم لتخدع ذلك الذي يرضى من الأمور بسطوحها ويكتفي بالخارجي ولا ينفد إلى القلب والمعنى المستتر ... إلى الحق أو الحقيقة ، أياً كان شكلها واتجاهها وتموضعها في

السياق هذا أو ذاك وموقعها الآني القريب وكذا الأبعد ، هناكَ على مرمى البصر ..

" تحديات النص الراهن "

تحديات المفهوم :

لنبدأ أولاً بالتحديد المفهومي .. أعني بالنص : كل مادة إبداعية تنجح في خلق تفاعل حقيقي ومعرفي وديناميكية عقلية أو روحية وحراك فكري وجمالي ، مع وفي ، وعي متلقٍ ما في لحظةٍ معينة من الزمن .. وهو بهذا يشتمل على النص المكتوب و المسموع و المشاهد والملموس ... الخ .. وكذا الأشكال المستحدثة من النصوص ، كالنص المتعدد أو الفائق– الهايبر تكست – والنص الرقمي ونص الهاتف المحمول والنصوص المصاحبة ل أو المنضغمة في .. الأعمال الفنية التشكيلية أو الموسيقية .. الخ .. وسواء كان التعاطي معه بشكل مباشر أو عن طريق وسائط أساسية أو تابعة .. ، كان في بنية مباشرة وبسيطة وسهلة التعاطي أو معقدة .. ، باستخدام أكثر من وسيط وطريق وغاية وآلية .. آلة أو بشر أو مفهوم .. الخ الخ ...أو لا.. وهو بهذا الاتساع – أو بسببه –

يتعرض لتحديات ويجابه إشكالياتٍ جمة ... سواء كان في إنتاج النص ذاته أو في تعاطيه وتلقيه أو في تجلياته وتفريعاته غير المحدودة .. وسواء في طريقة عرضه أو في شكل وإطار وصوله للمتلقي .. وكذلك مدى سلبية أو إيجابية ذلك المتلقي في عملية التلقي ذاتها.... ناهيك عن مدى فاعلية هذا النص وانتباهه لموقع المتلقي وكونه في موقع المشارك الفعلي في إنتاج النص ، يعني الإيمان بكونه طرفاً أصيلاً في الإبداع هو الآخر ، من عدمه ... أما كلمة الراهن فهي كلمة غامضة مفاهيمياً لأنها ستفتقر حتماً – فلسفياً وفيزيقياً – للتحديد .. حيث أن الزمن قيمة سيالة وغير متجمدة ومحدودة وبالتالي تفتقر للتموضع داخل قوسين .. فكلما أمعنا النظر في لحظةٍ ما بتجلياتها واشكالياتها وتعقيداتها وتفريعاتها ، باعتبار أننا نقرأ الواقع أو الراهن أو الآني ، تكون اللحظة قد مرت ونكون – والأمر هكذا – نقرأ ونفك شفرات الماضي وليس الحاضر!! لكن ، وبغض الطرف قليلاً عن الأبعاد القَدَرية البعيدة عن الحيز الفكري المتناوَل.. فإننا يمكن بربط

مفهوم الراهنية بالدال السابق وهو " النص " ، أن نستطيع ولوج الحقل الذي نقارب ونناور.. وكذا التعامل معه . ولو بالتساؤل ..

<u>تحديات النص :</u>

إن نصنا الآني – بهذه الكيفية الأقرب للتداخل والتشابك والاندماج وذوبان الفواصل .. منها لمفهوم النقاء – لهو الأصعب على الإطلاق .. صعوبة تكاد تماثل شائكية المخاض والبدايات .. حيث أن انفتاحه غير المحدود يمنحه أجنحة مَوَّارة ويمنع عن فضاءاته فكرة ال " مفاهيم " المكتملة .. التي تنحو منحى الرسوخ أو الثبات النسبي حتى – لأنها ، فيه ومعه ، تأخذ كل يوم أكثر من شكلٍ وتوجه وتتخذ كل ساعةٍ وسائلَ وغاياتٍ غير محدودة .. تتلون وتتغير باستمرار وباضطراد .. لكنها بالفرز الدائم المرتبط ب : هذا الانفتاح وهذه السرعة المهولة في الاختراع والتطوير – تصبح غير مناسبة ولا مطروقة كأساسات يبنى عليها ... وكذا الأفكار التي تظهر ثم تغدو غير منطقية ولا محل لها ولا يجب إعادة النظر فيها

فقط بل دحضها وإزاحتها ، بشكل أسرع من منطقية الاستسلام للوقوع تحت الاختبار الزمني والقيمي.. متى ستظهر أنها كانت مناسبة لكن الزحام والسرعة قتلاها ؟!! .. ناهيك عن الأفكار التي اختبرها الزمن والواقع فعلياً وباتت متحفية مثل مفهوم " الرقابة " مثلاً.. وهي الكلمة والمفهوم السلطوي الذي تَنَاسبَ مع أغلب فترات التاريخ أو جُلَّهَا حتى طَبَعَها بطابعه ... والذي يجابَه حالياً وطول الوقت بضرباتٍ مُوجَّهه ومُركَّزة ومباشرة في نعشه – لتؤكد بالتكرار على قيمة قتل المفهوم وتدشنها – أكثر حدة مما كان يتخيل و يتوهم ذلك المفهوم في عز سطوعه التاريخي ، قدرته على عد دقات قلوب البشر وخلجاتهم ورسم كتالوجات لأنفاسهم ....

من يضمن دفنه فعلياً .. من؟!

تحديات التلقي :

هل يملك النص الجديد .. أقصد المتجدد الدائم ، تلك القوة والفاعلية في الإحياء والإماتة ؟ نعم يملك .. وتلك إحدى سماته وميزاته الرئيسة لكنه أيضاً يحيا في متاهة عدم تحديد من ولماذا هذا بالذات والآن.. ويستمد من هذا التيه ذاتيته وفورانه وكنهه ومعناه ومبناه في نفس الآن – وهذه هي المفارقة ... لاخلاف أبداً على فتح الأبواب والنوافذ لآخرها ، حتى عصير التكوين الأول .... لكن في ظل تهميش دور المبدع والمثقف عموماً– لأسباب تتعلق بتنامي الأصوليات في العالم ، وكذلك ميل العالم نحو تفكيك مفاهيمه والميل لإعادة الرسم من جديد ، وطول الوقت ، على مسرح الواقع المتغير، مبتعداً عن تنظيرات النخبة التي ابتعدت أو ابتعد ذلك الواقع عنها قاصداً وبقسوة كذلك – هل يستفيد هذا المبدع وذلك المثقف من فضاءاته المعرفية والإبداعية الثعبانية وحرياته المتتالية المتعددة التي انتزعتها له التكنولوجيا ؟ ثم يخاطب مَنْ في هذا الهيولي ؟ وفي ظل هذا الضجيج والزحام الدائم ...

من يستطيع أن يصنع لنفسه عيناً ووعياً لا يلتهب من إشعاعات العالم الافتراضي .. وقدرة على متابعة إصدارات ونبضات وجنون وتجريب وتفكيك ، العالم بأسره .. ويشارك في مؤتمرات وحلقات رأي وبالأساس يكتب ويجد من يتابع نصه بالتعليق والدرس النقدي .. وكذلك يذهب لعمله ويؤمن لنفسه المعيشة اللائقة .. ولا ينفصل أيضاً عن الأحداث المؤثرة بشكل مباشر وغير مباشر في حياته.؟

هل كان تركيزنا من قبل ..منذ عدة سنوات أو عقود حتى.. ونحن في نادي الأدب عَيِّنة غير متخصصة بالمعنى الدقيق– في علم النص وعلم التلقي – مثلاً– والنقد عموماً ومتابعتنا للتغييرات الدائمة والدائبة ومدى فاعليتها في صنع حساسيات جديدة وكتاباتٍ تمتح من أنهارٍ جديدة وتُعَبِّد طرقاً ومسارب جديدة – هو نفس التركيز والنظر المدقق ، الآن ..اليوم.. ونحن نلاحق بالكاد كل ما حولنا ونكاد لا نتذكر الكتاب الذي كنا نحبه جداً حتى الأمس ؟!!

تحديات النص الراهن :

النص الكبير الذي هو كل هذا الفضاء – مفتوحٌ أمامك وأنت معه وفيه ، تلهث وتلهث ... وأنا وأنت وهو وهي.. باعتبارنا كتاباً أو مبدعين نستفيد فعلاً من التكنولوجيا .. سواء في إنتاج النص أو في توصيله أو في تلقي أشكال التفاعل معه .. لكننا بتنا نشك في تأثير كتابتنا في موقعٍ ما أو مدونةٍ ما أو توفير كتبنا على الشبكة العنكبوتية .. بتنا لا نستوثق من أي معلومة أو توجه لأن النقيض موجود وله شرعية وحياة ومريدون هو الآخر....

إن الحرية هي أعظم الأشياء والقيم والإطارات التي تحيط بالنص الجديد .. حرية أن ينتجه بقيم وطرق ووعي وطلاقة مختلفة وجديدة ومختلفة كلية عن القيم والثوابت القديمة .. وحرية أن يوصله للعلم أجمع بضغطة زر ... حتى علاقات التثاقف بين المبدعين والمثقفين باتت تأخذ أشكالاً جديدة فعلاً وفيها من الجرأة مالا تستطيع تجاهله ...

أمام النص الراهن تحدياتٌ جسامٌ حقاً لأنها متبدلة على الدوام ..عليه .. حالياً على الأقل – أن يبتكر أشكالا جديدة ومتجددة كل لحظة .. عليه أن يرسم لغة أكثر قرباً من الحياة ..عليه أن يقترب من " الإنساني " المتسع الخالد ويبتعد عن كل ما هو شوفيني ضيق ... عليه أن يستوعب حقوق البشر في كل مكان ويدعمها بالموقف وبتكوينات الجمل والحروف .. عليه أن يحافظ على خصوصية وفرادة وتميز لنفسه .. لأسلوبه ووعيه الذي يبثه في النص .. أياً كان شكل وتوجه وقيمة ذلك النص .. وفي خضم بحرٍ لا قرار له

ولا ثبات فيه .... النص الراهن يتبلور طول الوقت ونحن نلهث وراءه ونلهث .....

ونتغير أيضاً ..

<u>ملحوظة أساسية</u> :

لقد تغافلت – وذلك كتوجه وطريقة في النظر– عن تفسير تحديات النص الراهن بالتأويل الجاهز والذي يكاد يجمع عليه كثيرون من متعاطي الأدب والفن.. وهو اعتبار كلمة

النص الراهن تعبر عن " نص اللحظة الزمنية الراهنة بالذات ، في مصر بعد ثورتي٢٥يناير و ٣٠ يونيو" وتجليات الربيع العربي ، على النص الأدبي والفني بمعناه الواسع .. وهل تمثل قيمة ومبنى ومعنى " الحرية " في إنتاج ذلك النص يضيف إليه ويثريه أم لا .. وأشكال ذلك الإثراء وصوره ونتائجه القريبة والبعيدة ... الخ أقول لقد آثرت أن أفسر النص الراهن بمعنى أبعد قليلاً وإن كان في صلب عملية الإبداع ألا وهو: اعتبار " الراهن " هو الوافد النوعي الذي دخل على عملية الإبداع في السنوات الأخيرة وغيَّرها تماماً .. وهو التكنولوجيا وانسرابها في البداية ثم اقتحامها بعد ذلك الوعي المنتج للعملية الإبداعية وانضغامها مع عمليات التفكير والرؤية وكذا الأدوات.... لقد رأيت أن تفسيرًا كهذا هو الأقرب لزاوية نظري في ترتيب القيم الأكثر أهمية وعمقاً ... وفي كل التأويلاتِ خيرٌ مادام الهدف والمصب هو التعبير عن ، والمشاركة في.. هذا العقد الثقافي المتجدد ..

" هل أفادت مواقع التواصل الاجتماعي ..الإبداع الأدبي والفني؟ "

* هل أفاد الفيسبوك والتويتر والمدونات وما شاكلهم ..الإبداع الأدبي والفني؟ نعم أفاد .. وهل أضير الإبداع ؟ نعم – في نفس الوقت– أضير الإبداع !! تعد هذه الشبكات بمثابة مجتمع مصغر وحديث وحالي وبالتالي فهو يحمل كل إيجابيات وسلبيات وتناقضات الفسيفساء الحضارية المكونة لأي تجمع بشري .. وإذا دلفنا من بوابة الإبداع بالذات سنجد من استفاد من طبيعة هذه الشبكة في التدريب اليومي على الكتابة ومن انجرف بسبب نفس هذه الطبيعة وفقدت كتابته خصوصيتها .. من أصيب بحب الظهور وأقتنع أن العالم يراقب سكناته وحركاته بالذات فأقام في هذه المتاهة ونسى القراءة وذهل عن إبداعه وبات يبهر العالم!!– بصوره واقفاً وقاعداً وطائراً !!..وهناك من بات يلهث لهاثه الإيجابي الذي يتيح لوعيه أن يمتلأ بالكتب الأحدث أو الأثمن وباللوحات الأحدث أو

الأغنى وبأخبار الندوات وبالفيديوهات النادرة ومتابعة الأحداث عموماً .. يكتب الكاتب الواعي وينحي المجاملات جانبا فيستفيد من بعض التعليقات ... يوصل إبداعاته لمناطق أخرى ويتفاعل .. تعلمه الحرية المتاحة أن ينسى فكرة التأطير الضيقة فيتسع النص ويصير مطعماً بأشكال أخرى دون خوف من مؤاخذة من يبحث عن النظرية والانضباط الصارم .. تجرك الحرية وتكشفك أيضاً ..لا لا تكشفك بل للأسف تزيد من وهمك بأنك عظيم لأنك لن تعدم المعجبين بأي تفاهة مهما كانت .. وهذه طبيعة المتاهة ومأزقها في الآن ذاته.. فكرة اللا قانون – أقصد إعادة النظر في أفكار من مثل القانون والرقابة والاكتمال ودحضهم طول الوقت– هي فكرة مبهرة وتعني الفوضى في نفس اللحظة..وفي النهاية لا سبيل أمامك للتعالي على عطايا التكنولوجيا وعلى رأسها الحرية – لكن لا بأس من الهرب من كل هذا اللهاث والتقاط الأنفاس بين لحظة وأخرى....لاختبار إبداعك بشكل أهدأ وكذلك لتشم أنفاسا حية وساخنة ....

وليست افتراضية ...

* إني فرق هنا بين المبدأ وبين الوسائل..المبدع يخاف ويخشى دائما على مكون أساسي في منظومة الفعل الإبداعي وهو الحرية .. إنها الفعل الرئيس الذي لا يتصور انبلاج الطاقة الخلاقة المسماة بالإبداع إلا عن طريق وجوده هو وتجلياته الرحبة .. يخاف المبدع مبدئيا كيلا تنقص أدوات إبداعه أو تختنق ... لكن هذا لا يعني ألا يتعامل واقعيا وبسرعة إذا غابت هذه الحرية أو نقصت بابتكار رموز وصنع إشارات واللعب والاستمتاع أحياناً – بصنع الفخاخ للرقيب أو للمتلقي ضيق الأفق.. وفي ظل الثورة المتنامية للتكنولوجيا يصبح من العبث الإيمان بأفكار تنتمي لعصور قديمة كان البشر يختنقون فيها بالعجز الذاتي مما يضطرهم للمقاومة والابتكارات البسيطة الرمزية للخروج من الشرنقة .. أفكار مثل الرقابة والسيطرة وغلق الأبواب وتقنين الاتجاهات ورسم المسارب وتحديدها...الخ

لا يجب أن يخاف المبدع على الوسائل لكنه يظل حزينا دائما لغياب المبدأ.....

" ماذا ينقصنا ليكون أدبنا عالمياً "

لنحدد أولاً المقصود (بأدب عالمي) وهي المقولة التي نطمح أن يتصف بها ما ننتجه من أدب أو على أقل تقدير نأمل أن نكون على السلم المؤدي إليها وبهذا نستطيع أن نقدر كم من الخطوات أو القفزات بقى علينا .
هل المقصود بها شهرة الكاتب وبالتالي شهرة ما يكتب أم شهرة النص التي تؤدي بعدها لشهرة كاتبه ؟ وهل معيار الأمر هو مبيعات ذلك النص أم الجوائز التي يحصل عليها الكاتب أو حجم ما يكتب عنه من متابعات سريعة أو جادة أو أكاديمية ؟ وما هي مواصفات هذا النص وهل يصح أو يليق أن تكون له كتالوجات تضمن له البريق ؟
أظن أن الأمر متشابك لكن لا مناص من الرجوع إلى الأساس ، إلى كون النص الأدبي ، أياً كانت صورته هو تعبير وخلق من وعي وروح كائن أراد في لحظة ما أن يساهم في الضمير الجمعي للإنسانية ، أن يكون نقطة ما في فضاء هذا الوعي الكبير الممتد في الزمن ، أو حتى

أن ينفض عن نفسه خبرة ما أرقته ، المهم أنه بدأ اللعبة وصنع ما سوف ينبني عليه بعد ذلك جهود عدة أنماط من البشر والوظائف المرتبطة بعمله هذا ، وهم كفيلون بتعقيد البساطة الأولى : فتتسع اللعبة لتشمل النشر والتوزيع والتسويق وإدارة الموهبة أو محاصرتها والانتقال بها من محيط ضيق إلى آخر متسع أو قتلها وترتيب مضاعفة المكاسب على كل الأصعدة ، أو بدلاً من كل هذا الاكتفاء بحبسها في حيز النقطة المطمئنة أو القلقة في الضمير الموَّار العام . وبهذا نعود مع البداية ونقول الأدب العالمي هو الأدب الإنساني بالمعنى الأعمق ، الذي يمتح من الأسئلة الكبرى للبشرية ، حتى في تحولاتها ، حيث صارت التفاصيل البسيطة مثلاً قضايا كبرى وأسئلة مصيرية .. هذا الأدب الذي يأتي من معاناة وألم أو حتى فرح عميق وحقيقي يصلح أن تتلقاه وتسربه إلى نسيجها كل الثقافات ، هذا الأدب هو الذي يبقى ، ولذا فمن الحكمة أن يصبر المراقب إزاء فرقعات الترجمة القائمة على الموضات وعلى الاختيارات غير البريئة ، ومع الصبر تسقط الأقنعة . لقد

تلقى الغرب " بنات الرياض " لرجاء الصانع بالشغف لأنها تلبي أجوبة حول مجتمعات شبة مغلقة أمامهم مثلما تلقوا كتابات علاء الأسواني على أنها معبرة على تناقضات مصر اليوم وهكذا .. ولكن الوقت سيمر وتوضع هذه الأعمال في خانة من قام بدور المخبر الصحفي ، هذا الدور المحدود وقصير العمر ، لكنه أبداً أبداً الذي لا يتسرب إلى خانة الأدب الحقيقي المنسرب إلى الضمير . ينقصنا الكثير للوصول إلى العالم : أن يتعب الكتاب أكثر من ذلك في تثقيف أنفسهم وبأكثر من لغة ، أن نصل لمفهوم الجدير بالعمل وفيه وبأن الكتابة التزام وليست رفاهية وهذا يرتبط بمن يضمن لك أن تتفرغ تفرغاً جدياً ومنتجاً فلا يتحول الكاتب إلى تاجر ومندوب مبيعات فيتآكل وقته وتموت روحه ، أن نقاوم " تسليع الأدب " وأوهام " البيست سيلرز " التي تحول المسألة إلى كذبة كبرى ... والمهم حقاً هو العمق ، أن نقدم للترجمة ما يستحق ، بعد أن ننفتح على العالم الذي نحن جزء منه ، فنشتبك معه في همومه الكبرى ونقدم أطروحاتنا

ومساهماتنا ولكن أن نحس بالدونية إزاء الغرب ونقدم كل ما يرضيه ، ليتسلى ويؤكد قناعاته المسبقة ونقيِّف أدبنا على مقاسه هو، سيظل يرانا لا نستحق إلا مانحن فيه ، من دوران فى حلقات مفرغة لا نرى فيها إلا ظلالنا الباهتة ، أن نتخلى عن هواية جلد ذواتنا وقمعها، سواء من الأنظمة أو حتى من أنفسنا وعلى أنفسنا ، فنتحرر ونكتب و نرى في المرايا أرواحاً تتمكن من الصداقة مع الإنسانية المتسعة والتي لا نراها من منظارنا المكبل والمقموع ، إلا أشباحاً غير طموحه ..

" حول مؤتمرات قصيدة النثر "

بداءةً عندما نكون جزءاً من سياق مأزوم يكون الاحتمال الأقرب للتحقق أن تكون كل تفاصيله تعاني من مشاكل في إمكانية الاستمرار والحياة والتنفس .. إن السؤال الذي يجابهنا دائماً عن وضع قصيدة النثر لهو الدليل المتكرر الجارح على أنه وضع غير صحي ويعاني من إشكاليات عدة .. حيث كان من الطبيعي بعد كل هذا السنوات من بداية كتابة هذه القصيدة وظهور أجيال مختلفة من مبدعيها ، للعديد منهم مشاريع متميزة داخل حركة الشعر الحديث ، وكذلك ظهور أشكال وتيارات داخل القصيدة ، أن نتحدث عن وضعية مستقرة لكتابة تحتل موقعاً مائزاً بجوار باقي أشكال وطرائق الكتابة ، لكن الحاصل أننا عندما نسأل عن وضعية هذه الكتابة يتضمن سؤالنا بشكل مضمر وصريح كذلك ، سؤال المشروعية والوجود .. وهو شذوذ وانفصال عن الواقع ، إذ أننا لو كنا في حياة ثقافية طبيعية لكنا التفتنا إلى سؤال " الشعر" ذاته داخل أي شكل

لكننا هنا نرهن الشعرية بالشكل الذي ننتمي إليه ويستميت كل فريق في نفي الشعر لأنه يصدر من شكل مخالف عن الفريق الآخر وهو أمر مريض بالقطع .. وإذا نزلنا للواقع سنجد المؤسسة وهي كيان محافظ بطبيعة تكوينه وأكثر قرباً وميلاً لكل ما هو مستقر وبعيد عن المغامرة وكسر الأعراف .. أظن أنه ضرب من اليوتوبيا أن تشجع مؤسسة حاكمة بيرقراطية – أياً كانت – التجريب والاختتلاف والمغامرة فهي القيم التي تمس وجودها ذاته و هذا ما قرَّ في يقينها دائماً .. هذه المؤسسة اضطرت تحت الضغوط المتواصلة من المبدعين المختلفين والمستقلين عن مبدعي السياق العام الجاهزين لتلبية طلباتها الدائمة في (تقييف) الواقع الثقافي تبعاً للتوجه العام للدولة وهو يتغير بالتأكيد كل لحظة فانظر وتعجب من حجم موهبة وقدرة متلوني كل العصور ! اضطرت مؤسسة الثقافة عندنا أن تذكر قصيدة النثر وتعترف بوجودها كدليل على قبولها للمختلفين معها وليس من قبيل التصديق والاعتبار الفني الموضوعي .. وهل يعني وجود

عدة شعراء في لجنة الشعر أو إصدار دواوين نثرية للشعراء أن كل شئ قد تغير فجأة وأن قناعات وممارسات السنين وخصوصاً أن الأشخاص هم نفس الأشخاص – قد تبدلت وصارت أكثر استيعاباً لتحولات الواقع ؟ إن الحياة الثقافية تتعامى عن حقيقة أن هذه القصيدة هي الأكثر كتابة وتمثيلاً للأجيال الجديدة حالياً رغم أن باقي الأشكال بالطبع موجودة ومزدهرة وتتطور .. إن عقد أي مؤتمر لقصيدة النثر في مصر هو أمر طبيعي ومناسب في كل وقت لأن هذه القصيدة التي عانت كثيراً من النفي والتهميش تحتاج جهوداً ضخمة في سبيل قراءتها جمالياً وتفتيح أبواب بحثية تثير أسئلة وإشكاليات تساهم في النظر وإعادة النظر في مسائلها وزواياها النظرية ، كما يحتاج أصحاب المشاريع الجادة – وهم كثر – لتسليط الضوء البحثي في مناطق الضوء والظلام في هذه المشاريع بما يشجعهم على اقتراح مناطق شعرية جديدة في المستقبل .. أين ستحتك الأصوات الشعرية الجديدة مع سابقيهم ومجايليهم ونصوصهم وتجاربهم الحية إلا في

مؤتمرات تتميز بالاستقلال والبعد عن المظلات الفكرية والوعيية المهيمنة الرجعية ؟

ولا يمنع الهدف الأساسي في السعي لإقامة مؤتمر لقصيدة النثر كل فترة والذي هو تقليب التربة وغربلة الواقع ومساءلته وكشف المبدعين أمام لحظتهم – أن يكون لمؤتمرٍ ما بالذات أهدافاً وطموحات معينة منها مثلاً التساوق مع اللحظة الآنية في طرح كل جزء من المجتمع لأسئلة المستقبل – كلٌ من زاويته ومدخله .. إن مصر هي الرائدة دائما في تقديم الأنشطة الثقافية الجادة وإن إقامة مثل هذه المؤتمرات خطوة في سبيل عودة مصر لعافيتها المعهودة .. ثم كذلك الرد على الدعاوى الرجعية الخبيثة التي تقول إن الشعر الطليعي المصري لا بد أن يعود نخبوياً كما كان بعد أن شارك في الميادين وفي الفعل الثوري وحتى على صفحات التواصل .. وذلك اتساقاً مع الفكرة الفلولية التي تقول لكل ما هو ثوري (اهدوا وسيبنونا نشتغل) ! كما أن الدعاوي التي تأتي من بعض الدول العربية كل فترة و التي تتهم الشعر

المصري الجديد بالجمود والتي يتضح في كل مرة أن وراءها أغراضاً ليست فنية بالضرورة تستحق الرد عملياً بإبراز أجيال هذه الكتابة ووضع تجاربهم على المحك .

أما التحديات التي تواجه قصيدة النثر فمنها ما هو خارج عنها ومنها ما هو من داخل الكتابة ذاتها .. أما ما هو خارج عنها فقد لا يخصها وحدها إذ أنها ترعى في مناخ ضد الكتابة أساساً ويرفض كل ما هو جاد وحقيقي وخصوصاً أنها مازالت تعاني من سوء الفهم والرفض من كل من يريد أن يظل جاثماً على أنفاسنا ومحتفظاً بمواقعه للأبد .. ومن داخل القصيدة يجب على الشعراء أن يكونوا (قدها) بمعنى أن يستفيدوا من اتساعها ورحابتها ويكونوا أكثر جرأة وأكثر استعداداً للتجاوز وألا يركن كل صاحب منجز لطريقته التي ألفها بل يطرق أراضٍ جديدة دائما بلا خشية وأن تستفيد القصيدة من التلاقح الفكري مع النص الكبير الذي يكتبه العالم وهو التعاطي الذي يتم رغماً عن أي تحجرات .. ونهاية لا يخفى على المرء أنه قد أصبحت هناك (وصفة مصرية في كتابة قصيدة النثر)

مكونة من عدة تفاصيل على أحزان عامة وشخصية بمفردات وطريقة بسيطة وهي توليفة قد أدت إلى دخول أدعياء كثيرين قد يزدحم بهم المشهد أحياناً .

" صفحة من دفتر النشر الخاص في مصر "

في تسعينيات القرن الفائت كان المشهد الإبداعي في مصر يتحلق حول ثلاث كلمات .. مؤسسة ، ورجال ، وسياسة : مؤسسات حكومية عتيدة وراسخة ومنتشرة ، يسيطر عليها رجال تم اختيارهم بعناية فائقة ، لتنفيذ سياسة محددة ومنهج معلوم تم التوصل إليهما كصيغة أكثر عملية وواقعية – بعد تجربة العديد من الصيغ في العهود السابقة – في التعامل مع الفئة الخطرة المسماة بالمثقفين .. هذه السياسة أو الغرض أو الخطة هي صنع دوامة بالغة العمق والتجليات والزوايا (ضجيج ثقافي دائم وإن كان بلا طحين معرفي حقيقي) فيتوه المثقف في جوانبها وأركانها ومراياها الوهمية بينما الجالس في الأعلى يبتسم ثم يضحك بكل قبح .. ينشغل ذلك المثقف عن طموحه ودوره – كفاعل عضوي في مجتمعه وفي نوعه الأدبي أو الفكري وتنظيره وصياغته الخ .. – أو بالأحرى ينشغل بدوره الجديد الذي آن أن ينفذه .. فيظل يجري من

هنا لهناك طمعاً في طبع كتاب أو حضور مؤتمر أو سفرة خارجية .. وما إلى ذلك من الأنشطة التي لا تتوقف أبداً وتشده شداً للحظيرة وبريقها الذي يعمي القلوب .. وأصبح من العادي أن يتحول الجدال بين المثقفين من مناقشة القضايا المُلِحَّة في كل الاتجاهات إلى الخلاف على المناصب العديدة والمتشعبة و" البَدَلات " ! وهكذا تتخلص الدولة من خطر" الأفندية الأرازل " ! بتعبير المرحوم السادات ، بطريقة ناعمة تليق بالوزير الناعم !! وتحقق " شكلاً " للدولة راعية العلم والأدب والفنون التي نجحت إلى حد كبير في أن تنسى أي خطر قد يحدق بخططها من جهة هذه الفئة بالذات ، وتتفرغ بالتالي لمهامها الاستبدادية المتلونة الأخرى .. كيف وقد حولتهم لشكل عصري من العبيد والشُطَّار والعَيَّارين الذين يبدلون أيدلوجياتهم كل صباح بما يلائم المغنم الذي يلوح أو مزاج السيد الذي يبدل مسامير مقرعته كل لحظة .. ومن ضمن أدوات هذا المخطط كان النشر بالطبع .. فتم تنشيط سلاسل متعددة ازدحمت عن آخرها بالمبدعين الذين

ينامون وهم يحلمون بأن يأتي الدور عليهم بسرعة وأن تمر تلك الأعمال من بين فَكَّيْ اللجان التي تستطيع أن تعطي الصك أو توقف القطار .. لم تستطع الدولة أن تتسامح مع أي خروجات دينية أو أخلاقية كيلا تفتح بوابات الحرية للانتقاد السياسي الذي قد ينذر بتنبيه الغافلين .. لا أخلاق ولادين للدولة – أي دولة – وإنما الخوف كل الخوف – طول الزمن – لا يكون إلا من طائر الحرية الذي إذا دخل من فرجة في النافذة فإنها لا تنغلق بعده أبداً .. لذلك لم يكن هناك سبيل إلا النشر الخاص الذي يهرب فيه المبدع من قوائم الانتظار و من كلاَّبات الرقابة .. تساوق هذا الأمر مع ظهور أجيال جديدة من الكتاب كانت تكتب بطريقة مختلفة وعصرية وأكثر ميلاً للتجريب وأكثر انفتاحا على كل الثقافات والمتغيرات التقنية .. وهكذا تقاطعت بعض دور النشر الخاصة بالكتابة الجديدة فارتبطت دار مثل " شرقيات " بقصيدة النثر وكتابة التفاصيل ودار مثل " ميريت " بالمشهد الروائي الجديد .. الخ ... لكن الأمور كعادتها لا تخلو من سلبيات عملية

تليق بالواقع العشوائي .. منها رفض غالبية الدور كتابة عقد مع المبدع اعتماداً على العلاقة الشخصية فيعيش الكاتب قلقاً عجائبياً ورخيصاً إلى أن يستلم نسخ كتابه .. النسخ التي لايتم الاتفاق إلا على عدد الألف منها والذي واقعياً لا ينفذه الناشر ، لأنك يا عزيزي " لا تعد النسخ وراءه " ! ثم إنه يكفي عليكم مائتي نسخة .. " يعني من كُثْر القراء ياخَيْ " !! وبالأساس فكرة أن يُكَلِّف المبدع كتابه ويدفع للناشر نقوداً جعلت الأمر أقرب لشخص يتم خداعه برغبته هو .. فأنت تدفع لقاء اسم الدار فقط ولا تستطيع في كل الأحوال أن تجد نسخاً والعدد المطبوع القليل لا يسمح بالتوزيع الذي ليس في طموح الدور أصلاً !! لأنها تكتفي بالمعارض وبمن تعرفهم من الصحفيين وبنقاد معينين .. إذن الأمر محض نشر سري ... تسمع عن كتب ولا تراها وأصحابها لا يملكون منها نسخاً .. لكنك لا تنكر أبداً ، أنه عن طريق شبكة من الأصدقاء المنتشرين في المؤسسات الإعلامية يتم " التخديم " على الكتاب !! هذه هي الحقيقة التي تجعل الكثيرين يحسمون

ترددهم .. فيتم ترشيح الكتاب لجوائز ويحظى بكتابة نقدية وما إلى ذلك .. نعم هو نفس الكتاب الذي لم يقرأه إلا القلة المعنية فقط ، المعنية ليس باختيارها ولكن وفق نشاط وحركية الناشر في الواقع الثقافي ...

النشر الخاص مفيد ؟ بالطبع ..

وهو ضرورة لا حياد عنها خاصة مع بزوغ أفكار تفكيك وزارة الثقافة وهيئاتها البيروقراطية وما إلى ذلك ...

يحرك المياه الراكدة ويفتح آفاقاً ومساراتٍ من دونها الحياة الثقافية ميتة ؟ يقوم بهذا بالتأكيد ... يتواشج مع فكرة الحرية التي لا بديل عنها للمبدع ولعملية الإبداع ذاتها ؟

بالضبط ..

قاسٍ وبهلواني ويقترب من العبث ومستغل ....؟ نعم للأسف ...

" الشاعر والوظيفة : روح مفتوحة على النزيف .... "

كان أبي رحمه الله يتوقف ونحن سائران ويقول " الإيد البطالة نجسة " وفي مشهد آخر يغمغم " العمل عبادة " وما إلى ذلك من العبارات والأقوال المأثورة – ناهيك عن الآيات والأحاديث – التي تحث على العمل وتُجلي قيمته.. الخ ... حتى جاء اليوم الذي سألته فيه عن سر هذا الإلحاح على هذا الأمر بالذات فقال بأسى " لأنك بتاع شِعر!! " .. وهكذا كان يخاف عليَّ أو كان واقعاً تحت الفكرة المتسلطة على الكثيرين وهي صورة الشخص الحالم الفوضوي الذي يحوِّم دائماً بعيداً عن كل ماهو واقعي وحقيقي ، الشاعر..الشخص الذي تمنعه طبيعته الهوائية من الانتظام في عمل ما وبالتالي يعيش عالة على الآخرين ، الأكثر جدية ونفعا لأنفسهم وللعالم ... هذه الصورة الذهنية.. هل هي مجرد أسطورة اجتماعية موجودة عندنا أم أن فيها ظلاً من الحقيقة...الأمر خلافي

ولكننا إن سألنا سؤالاً مثل: هل يعمل الشاعر.. لا يكون أمامنا إلا وأن نلجأ للجغرافيا ومن ثم للمستوى الحضاري .. فالعالم الأول الأكثر تحضرً ووعياً يتعامل مع الشاعر على أنه إنسان مميز تحتاج إليه البشرية في كل مراحلها ولا تلجأ لمعيار الأهمية إذا قارنت بينه وبين السياسي أو عالم الفضاء أو العالم أو الاقتصادي..الخ حيث تتفهم هذه المجتمعات فكرة التجاور الذي يكمل فسيفساء المجتمع فلا يصح أن يُطلق على أي تجمع بشري مصطلح المجتمع إلا إذا احتوى على كل الأنماط وهكذا تكون لتربية الروح نفس أهمية تربية الجسد..وبالتالي يمكن أن توفر للشاعر بعض المميزات المرتبطة أيضا بالبعد التجاري .. فعندما ينجح كاتب ما – شاعر أو غيره – في الوصول لمبيعات عالية توقع معه دور النشر عقوداً لإنتاج الكتب خلال عام مثلاً وتجددها له كلما استمر نجاحه وتوفر له راتباً يكفيه ثم ترتب له بعد صدور الكتاب الحملات الترويجية وحفلات توقيع في بلدان مختلفة ولقاءات إعلامية وما إلى ذلك ...أما في دول العالم الثالث فالصورة تماثل وتحاكي

الواقع والمستوى الحضاري المتدني ..الشاعر مثله مثل باقي أنماط المجتمعات المأزومة يعاني في الالتحاق بعمل ثابت ثم يعاني في رسم حياة مناسبة لمن يعول..أي أنه يضطر لزحزحة الشعر إلى نهاية قائمة الاهتمامات..بالإضافة إلى أنه يواجه التباسا في وعي البعض ضده وخصوصاً عند استدعاء القيم الدينية..أي أن الشاعر عندنا يواجه الجهل والظروف والتهميش في غالب العصور وعزلته النفسية المتجددة ، في وقت واحد .. بالطبع لا ينسحب هذا على الشعراء النجوم الذين يؤدون دائما أدواراً مرسومة تجعل المجتمع يرفعهم في مكانة تجعل الواحد منهم يكافئ العشرات في الحظوة والمال والانتشار الخ .. لكنهم في النهاية قلة ... وإذا كانت فكرة تفرغ الشعراء قد تعاطت معها مجتمعاتنا في إطار" المنحة " التي تقدم للبعض فإنها بطبيعتها مؤقتة مرهونة بانتهاء المشروع المتفق عليه وبهذا فتكون فكرة أن يمنح مجتمع ما تفرغاً طويلاً للكاتب أو الشاعر فكرة طوباوية أقرب للوهم...

وإذا فسرنا بالأساس كلمة النفع العام تبعا لتقدم وتحضر مجتمع ما سنصل لجواب سؤال ما إذا كان الشعر عملاً مفيدا للجميع أم لا حيث أن لكل مجتمع أولياته التي بمنتهى الصراحة يكون الشعر في بعض الأوقات خارجها وعبئا ورفاهية غير مستساغة في إطار غياب الأساسيات مثل الطعام والدواء والحرية ... لكن هل يعني ذلك أن الشعر يحتاج مجتمعاً صحياً لكي ينمو.. بالعكس فالمعاناة في غالب الأحوال تخلق الإبداع ولكن القهر كذلك والصعوبات التي تواجه المبدع تأكل روحه وتحبطه وتشغله أيضاً...

وإذا وصلنا لصلب عملية الكتابة وإنتاج النص الشعري فالعمل الذي يأخذ من الشاعر وقته وجهده وصحته ويُبقي له قلقه وتوتره يجعل الشاعر في حالة دائمة من التدريب على الاصطياد .. اصطياد الفكرة والصياغة من وسط الأتون الذي يبعده عن الفعل الوحيد الذي يحقق إنسانيته .. الإبداع ..

وفي الأولى والآخرة الشاعر جزء من لحظته التاريخية ..

يعاني مثلما تعاني ..

ولكن بروح مفتوحة أكثر على النزيف .....

المؤلف :

- مواليد : 15/11/ 1975

- صَدرَ لـهُ :

1− بورتريه أخير، لكونشرتو العتمة .
شعر ، دار سوبرمان 1998 .

2− هواء جاف يجرح الملامح .
شعر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة 2000 .

3− غاية النشوة .
شعر، طبعة أولى : هيئة قصور الثقافة 2002 .
طبعة ثانية : مكتبة الأسرة 2003 .

4− بهجة الاحتضار .
شعر ، هيئة الكتاب 2003 .

5− السِريُّون القدماء .
شعر، هيئة الكتاب 2003 .

6− ممر عميان الحروب .
شعر، هيئة قصور الثقافة 2005 .

7− تفكيك السعادة .
شعر ، دار هفن 2009 .

8– تأطير الهذيان .
شعر ، دار التلاقي للكتاب 2009 .

9– بقع الخلاص .
مونودراما ، هيئة قصور الثقافة ،
بيت ثقافة الفشن 2010 .

10– إضاءة خافتة وموسيقى .
مجموعة مسرحية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2009.

11– يُطِلُّ على الحواس .
شعر. كتاب اليوم . دار أخبار اليوم ، 2010 .

12– الهاتف.
مسرحية للأطفال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2010.

13– أوراد النوستالجيا .
مقالات نقدية ، إقليم القاهرة الكبرى الثقافي 2011.

14– عَالِقٌ في الغَمْرِ ، كالغابةِ كالأسلاف .
شعر ، هيئة قصور الثقافة 2013 .

15– رَفةُ شبحٍ في الظهيرة ، شعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2013 .

- **قَيْد الصدور** :

1– حَيِّزٌ للإثمِ ، شعر .

2 – بلا خبز ولا نبيذ ، شعر .

3– علم النمل ، نصوص .

4– الصياد والسمك الناطق ، قصص مترجمة للأطفال .

5– اقترح أنت حلاً آخر ، الأعمال المسرحية .

* **للتواصل** : **هاتف محمول**: 01003815130 – 01116321147

بريد إلكتروني :

momensamir76@yahoo.com

المحتويات